

عظمة أبو هريرة

عظمة أبو هريرة
تأليف: علاء إبراهيم الزناتي.
التصنيف: بحث ديني

تدقيق لغوي وإخراج فني وتصميم الغلاف
يورिका لخدمات النشر



EUREKA

01288627690
eureka4publishing@gmail.com

بالتعاون مع

دار المهتفون العرب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٥٣٣٦

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٤٣-٩٤-٩

جميع الحقوق محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو تخزين أي جزء من
الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابي
صريح من الناشر



عظمت أبو هريرة



علاء إبيراهيم الزناتي



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آل بيته الكرام العظام وعلى صحابته الغر المحجلين الذين نقلوا إلينا الإسلام صافياً لا يشوبه تحريف أو تزوير، وعصموه مما أصاب الأمم السابقة وزادوا عنه بحياتهم ودفَعوا عنه السوء بأرواحهم .

كانوا لسيدنا محمد عوناً وعضداً؛ فبأيديهم هدم الأوثان وبعقولهم حفظ القرآن، وبإخلاصهم حصنت السنة.

فقد كانوا أهل الهيحاء^(١) إذا ماجبت الأرض كلها، وكانوا أهل الوفاء إذا ما غرقت الأرض ببحر الخيانة.

كان هذا حالهم وشأنهم فاستحقوا قول النبي ﷺ:

" الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه " ^(٢) .

ووصفهم الله ﷻ فقال تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ

(١) الهيحاء: الحرب.

(٢) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن المغفل حديث رقم ٣٨٦١ وقال عنه حديث (حسن) غريب ، والخطيب في تاريخ بغداد ٩/١٢٣ .

فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَقْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]

وروى عن أبي سعيد الخدري قال :- قال رسول الله ﷺ :-
" لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً
ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه "(١).

وروى عن أبي هريرة قال :- قال رسول الله ﷺ :-
" لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل
أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه "(٢).
وذكر ابن كثير في تفسير سورة الفتح أن مالك ﷺ قال :-
" بلغني أن النصارى كانوا إذا راوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام
يقولون: - والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا"(٣).

(١) مسلم في صحيحه حديث رقم ٢٥٤١ ص ٩٢٥، مكتبة فياض للطباعة والنشر.

(٢) مسلم في صحيحه حديث رقم ٢٥٤٠ ص ٩٢٥، مكتبة فياض للطباعة والنشر.

(٣) ابن كثير في تفسيره لسورة الفتح آية رقم ٢٩ ص ١٩٥.

وروى الميموني: قال لى احمد بن حنبل :-

"يا أبا الحسن إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام"^(١)..

فقد كان المهاجرون الذين عُذِّبوا وطُردوا من ديارهم وسلبوا أموالهم وكان الأنصار الذين نصرُوا الله ورسوله وبايعوه على النصر والحمية، ثم كان: المهاجرون والأنصار يداً واحدة لرسول الله ﷺ على عبدة الأصنام وهم الذين قاتلوا معه في بدر، وتحملوا مرارة الهزيمة في أحد، وصمدوا معه في الخندق، إذ قذفتهم الأرض بطغام^(٢) القوم، وأحكمت حصارها عليهم حتى أذن الله للانتصارات أن تتوالى بعدما صدقوا الله ورسوله في بيعة الرضوان؛ فكان فتح خيبر ومكة ثم عام الوفود، ثم استكانة^(٣) جزيرة العرب كلها لراية الإسلام، ثم تسلم صحابة رسول الله ﷺ الراية بعده فأحسنوا علاج الأمة بعد وعكة الردة، ثم أطلقت سيوفهم وميض التهديد إلى الفرس فدحضوا ملكهم وقُقععة^(٤) قصص الانتصارات إلى الروم فدحرجوهم عن الشام ومصر وفلسطين.

(١) اللالكائى فى شرح اصول الاعتقاد ٧/١٢٥٢، وكذلك ابن كثير فى البداية والنهاية

المجلد الرابع

(٢) طغام القوم : أوباش القوم .

(٣) استكانة: خضوع.

(٤) قعقعة: حكاية صوت السلاح.

لقد زين الله محمداً ﷺ بصحابته فظهر منهم من استبشر أهل السماء بإسلامه كعمر بن الخطاب^(١).
ومنهم من كان لو أقسم على الله لأبره^(٢).
ومنهم من كانت تستحي منه الملائكة^(٣).
ومنهم من حملت الملائكة جسده إلى السماء^(٤).

(١) الطبراني - المعجم الكبير- باب العين ص ٨٠ الجزء ١١ ، كذلك ابن ماجه ص ٣٨ الجزء الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:- لما أسلم عمر نزل جبريل، فقال:- يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر (استشهد به السيوطي في تاريخ الخلفاء فصل خلافة عمر بن الخطاب، ص ٩٣، دار الفجر للتراث .

(٢) ذكر الترمذى فى سننه حديث رقم ٣٨٥٤ ، وقال عنه حديث حسن غريب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:- " رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله ﷻ لأبره، منهم البراء بن مالك " .

(٣) أخرج مسلم فى صحيحه حديث رقم ٢٤٠١ ص ٨٧٩، واستشهد به السيوطي فى كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٢٢ عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال:- " ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟! " .

(٤) ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة رقم ٢٧٢٤ الجزء الثالث ص ١٢٤ " إن عامر بن الطفيل قال لرسول الله ﷺ لما قدم عليه: من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه، قال: " هو عامر بن فهيرة " .

ومنهم من أقسم حياً فببر الله قسمه ميتاً^(١). فلو تكلمنا عنهم ما
 وفت الكلمات مقدار، وما قدرهم مداد البحر إذا صار حبراً يجري على
 ورق. فهم الذي قال عنهم: عبد الله بن مسعود " من كان متأسياً فليتأس
 بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها عقلاً،
 وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً أختارهم الله لصحبة
 نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا
 على الهدى المستقيم"^(٢).

ذلك فضلهم إذ أن الله اختارهم لنبيه واخترنا نحن منهم: أبا هريرة
 لتكلم عنه، ونرجو من الله أن نوفق في ذلك .

(١) ذكر بن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ١٠٥ ، مطبوعات الهيئة العامة
 للثقافة " إن عاصم بن ثابت قد قتل عقبة بن أبي معيط الاموي يوم بدر، وكذلك
 مسافع بن طلحة وأخاه كلاباً، كلاهما أشعره سهماً، فياتي امه سلافة ويقول: -
 سمعت رجلاً حين رماني يقول: خذها وأنا ابن الأقلح، فنذرت سلافة إن امكها الله
 تعالى من رأس عاصم لتشرب فيه الخمر، فلما أصيب عاصم يوم الرجيع أرادوا أن
 يأخذوا رأسه ليبعوه من سلافة ، فبعث الله سبحانه عليه مثل الظلة من الدبر،
 فحمته من رسلهم، فلم يقدروا على شئ منه، فلما أعجزهم قالوا: إن الدبر سيذهب
 إذا جاء الليل فبعث الله مطراً، فجاء سيل فحمه فلم يوجد، وكان قد عاهد الله
 تعالى أن لا يمس مشركاً ولا يمسسه مشرك، فحماه الله تعالى بالدبر بعد وفاته ."

(٢) ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٤٧ رقم ١٨١٠.

هذا الصحابي الذي يملأ في قلبي مكاناً خاصاً فهو بحق أريج^(١) لمن طلب العطر، مطلب من طلب الحلاب^(٢). فتجد في سيرته نموذج للسعة بعد الضيق، وانفراج الكرب بعد إحكام الغلق، وحل الأربة^(٣) بعدما اشتد حنقها فتجده فقيراً قد وشح له الحفف^(٤) خيوطه ليصير بعد ذلك غنياً قد فتح له رغد العيش ذراعيه، وتجده طالب علم يهيم^(٥) في الأرض طالباً لما أراد حتى صار وتداً منه يبدأ العلماء مسيرتهم، وتجده قد أدرك النبي قبل وفاته بثلاث أعوام فتماقس^(٦) مع الزمن حتى حايبه^(٧).

وبهذه الخصال قد صار: أبو هريرة الغني الذي من سيرته يستمد طالب المال الصبر، والعالم الذي من سيرته يستنجد طالب العلم بالجلد، المُقدم الذي بسيرته يحتذي المتأخرون، والنموذج الذي يوضح نهاية الإصرار، والقصة التي تبين كيفية النجاح، والإرادة التي تسفر عما يجب أن يخطوه المُريد، وعندما تجمع هؤلاء معاً تستنتج الرواية التي تتكلم عن الرواية.

(١) أريج: الرائحة الطيبة.

(٢) الحلاب: الماء.

(٣) الأربة: العقدة التي لا تنفك.

(٤) الحفف: قلة ذات اليد والمراد به الفقر.

(٥) يهيم: يسير حيث لا يدرى أين يذهب .

(٦) تماقس: التماقس هو التسابق في الغوص، والمراد هنا التسابق في بحار العلم.

(٧) حايبه: راوغه وغالبه.

اسمه

كان أبو هريرة. في عظيم علمه وبخ مكانته كالدرفس (١) في الوغى (٢) والمثاور (٣) الذي ليس له ند، والبطل الذي لا يقارع ، وهو ذريعة (٤) أحاديث رسول الله ﷺ إلينا ومحواتها، وهو الذى أرّض (٥) اسمه بين ثنايا كتب الحديث، وفي أحضان كتب التاريخ، واجتمع العلماء على عظيم علمه، وحفظ حفظه، وقدرته على استيعاب أحاديث رسول الله ﷺ فقال عنه الإمام الشافعي ...

أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره (٦).

(١) الدرفس: الراية التى ترفع في الحرب.

(٢) الوغى: الحرب.

(٣) المثاور: المحارب.

(٤) ذريعة: وسيلة .

(٥) أرّض: أى مكن جذوره ، كناية عن التمكين

(٦) ابن كثير في البداية والنهاية الجزء الثامن ص ٤٥٧ ، المجلد الرابع ، دار التوفيقية

للتراث، وكذلك ذكر الذهبي في كتاب سير أعلام النبلاء. وكذلك ابن الأثير في أسد الغابة.

عظمة أبو هريرة

وقال عنه ابن الأثير: "صاحب رسول الله ﷺ وأكثرهم حديثاً عنه" (١).
وقال هو نفسه :- "ما من أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً عنه
منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب" (٢).
وقال عنه البخاري:- " روى عن أبي هريرة أكثر من ثمان مئة رجل
من أصحاب وتابع" (٣).

وهذا الإجماع ليس إلا من عظيم فضله، ولكن تبقى الأعجوبة التي
تتعجب منها الأعاجيب إذ أن رجل بهذا الفضل وقد كرمه الله بهذا المقدار
من إجماع العلماء على علمه والثناء عليه هو نفسه الذي اختلف العلماء
على اسمه إختلافاً يكاد يكون فيه شبه إجماع كأنه شخص مجهول؛
فقال - أحمد بن حنبل - اسمه: عبد الله بن شمس

وقال - يحيى بن معين: اسمه : عبد شمس (٤)، وكذلك قال أبو
نعيم. وتواترت عنه الروايات فقليل عنه أنه: سكين بن دومة (٥)
وقيل أيضاً أنه : بُرير بن عَشْرَقَة (٦) ، وقيل: عبد غنم.

(١) ابن الأثير في أسد الغابة ٦/٣٠٠ رقم ٦٣٢٦ ، المكتبة التوفيقية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ص ٢٦ حديث ١١٣.

(٣) ابن الأثير في أسد الغابة ٦/٣٠٠ رقم ٦٣٢٦ ، مرجع سابق .

(٤) ابن الأثير في أسد الغابة ٦/٣٠١ رقم ٦٣٢٦ ، مرجع سابق .

(٥) ابن الأثير في أسد الغابة ٦/٣٠٠ رقم ٦٣٢٦ ، مرجع سابق .

(٦) ابن الأثير في أسد الغابة ٦/٣٠٠ رقم ٦٣٢٦ ، مرجع سابق .

كما قال أبو هريرة عن نفسه :-

"كان اسمي في الجاهلية:- عبد شمس . فسماني رسول الله ﷺ في الإسلام عبد الرحمن، وإنما كُنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي ، فقبل لي: انت أبو هريرة" (١)

عن الترمذي قال:- حدثنا احمد بن سعيد المرابطي ، حدثنا روح بن عباد، حدثنا أسامة بن زيد، عن عبد الله بن رافع قال:- قلت لأبي هريرة:- لم اكنيت بأبي هريرة؟ قال:- أما تفرق مني؟ قلت:- بلى، والله إني لأهابك. قال:- كنت ارعى غنم أهلي، وكانت لي هريرة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في شجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معي، فلعبت بها، فكنوني أبا هريرة.

وكنى بها وغلبت كنيته اسمه فذكرها ونسب علمه إليها وغاب اسمه حتى ما وضع العلماء أيديهم على صحته وما صار يذُكر إلا بأبي هريرة حاله كحال أبي بكر، وأبي ذر الغفاري، وأبي دجاجة... فقلما تجد من يعرف أن أبا بكر الصديق اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر ويصعب أن تربت يدك على من يعلم أن: أبا ذر اسمه: جُنْدب بن جُنادة وضح أن تعثر على من يتذكر أن : أبا دجاجة اسمه: سماك بن خرشة.

فمهما كان ذكرهم باللقب أو بالاسم أو بالكنية. فهذا ليس بالأمر الذي يستحق الوقوف عليه، لكن المؤكد أن أعمالهم الخالدة التي

(١) ابن الأثير في أسد الغابة ٦/٣٠١ نقلاً عن ابن اسحاق، المكتبة التوفيقية.

سُنت^(١) على الدهر، فألبسته ثيابها ولونته بألوانها؛ فأضفت على الدنيا بهجة، وعلى الحياة لذة، وجعلت للتاريخ رونقاً، وللدهرزينة، فأورثونا إرثاً ما حافظنا عليه. فقد سلموا لنا الراية تصطفق^(٢) بريح الإسلام، لتلقي بالفئ^(٣) الذي حجز اللظى^(٤) على أرضٍ أمتدت من الاندلس (أسبانيا والبرتغال) حتى تركيا ومن كاشغر بالصين حتى سريلانكا، ولولا هزيمة البطل القائد المغوار: عبد الرحمن الغافقي في بلاط الشهداء^(٥) لانصاعت: أوروبا. كلها لراية الإسلام.

(١) سُنت: أى أقلت في أماكن متفرقة، منها قول شن الغارة.

(٢) تصطفق: أى ترفرف

(٣) الفئ: ما أخذه المسلمون بلا قتال . منها قوله تعالى : " ما أفاء الله على رسوله ". والمراد به هنا: الظل.

(٤) اللظى: النار: منها قوله تعالى : " فأندرتكم ناراً تَلظى ".

(٥) بلاط الشهداء هي معركة خاضها المسلمون بالقرب من مدينة بواتيه الفرنسية عام ١١٤ هـ بقيادة والي السملمين بالاندلس عبد الرحمن الغافقي ضد قوات الفرنجة بقيادة شارل مارتن وانتهت بانتصار الفرنجة ومقتل عبد الرحمن الغافقي، قيل عنها بأنها لولا تكالب المسلمون على الغنائم لما هزموا، كما قالت مصادر أوروبية بأنه لو انتصر المسلمون في هذه المعركة لأصبحت أوروبا كلها تحت راية الإسلام.

نسبه

لم يكن: أبو هريرة من بني مخزوم فكانت قبيلته تفرج بالعظماء كخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام. ولم يكن من بني تيم بن مرة، ليتفاخر بعظماء قبيلته كأبي بكر الصديق، وعبد الله ابن الجدعان. ولم يكن من بني عدي بن كعب ليُلطخ بشرف الدهر. إذ أن من قبيلته: عمر بن الخطاب، وسعيد بن زيد، ونُعيم النحام بن عبد الله. ولم يكن أحد بطون قريش وهم أعلى العرب مكانة، وأجملها منزلة، وأروعها مظهر، فيتفاخر بأنهم أوسط العرب داراً، وبأن القرآن نزل فيهم، وأن الحجاج يسيرون إليهم ليأدوا فريضة الحج، وأن النبوة خرجت منهم فكانوا خيار العرب، ومن بينهم هاجر المهاجرون ليصبحوا أهل السبق في الإسلام. لم يكن نسب أبي هريرة إلى أي من هؤلاء، ولم يكن من ذوي النسب الأشم^(١)، وإنما صارت الكتب تعلقو بالانتساب إليه ، وتتجمل بذكر اسمه بين طياتها، وتقمم^(٢) بالحديث عنه، فبه تدحض الغلة^(٣) ، فكان ذكره كالعسجد^(٤) وسيرته اللجين^(٥).

(١) الأشم: العالي.

(٢) تقمم: تصل للقمة.

(٣) الغلة: الحاجة

(٤) العسجد: الذهب.

(٥) اللجين: الفضة الخالصة.

عظمة أبو هريرة

وكنا قد ذكرنا الاختلافات على اسمه قبل الإسلام، لكن لم تصل إلينا رواية أخرى لتطرح اسمه بعد الإسلام سواء تلك التي تروي أنه: عبد الرحمن بن صخر بن سليم بن فهر بن غنم بن دوسي اليماني^(١).

ولأبي هريرة أخ يسمى: كريم، وكان خاله: سعد بن صبيح ابن الحارث الذي كان يقتل كل من يقع تحت جضض^(٢) سيفه من قريش انتقاماً لقتل: هشام بن المغيرة (الذي كانت قريش تؤرخ بموته وهو الذي قادهم في حرب الفجار) لأبي أزيهر الدوسي^(٣) وبهذا يكون: أبو هريرة . قدوة لمن ليس له علو نسب ، فيحتذى به ليعلو نسبه، فلو لم يكن: أبو هريرة دوسي. فمن كان سيذكر قبيلة: دوس . إلا مجرد اسم عابر يُطرح أو ما كان من أعمال: الطفيل بن عمرو الدوسي.

لكن: أبا هريرة. أضاف إلى قبيلته اسم طما^(٤) باسمهم في كتب النسب، وأضافت أعماله إليهم ذكر ارتفع به ذكرهم وبعد ذكر ما سبق وتحليل ما هو آت ذكره يمكن القول: إن أبا هريرة العزيز الذي أعز الله به قومه، والتقى الذي به اتقت السنة تجراً الكاشح^(٥) على عظيم شأنها.

(١) ورد في أسد الغابة ٦/٣٠٠ إن دوس اليماني من دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد.

(٢) جضض: حد السيف.

(٣) ابن حزم الأندلسي في كتابه جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٠.

(٤) طما: أي ارتفع.

(٥) الكاشح: العدو المبعوض.

أخلاقه

كان أبو هريرة باراً بأمه حتى أنه ماسكن وما استراح حتى أسلمت ولما أسلمت لم يفارقها حتى توفت.

أبصر رجلين يوماً فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ - فقال أبي -

فقال:- لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله". (١)

وكان حليماً محباً لآل بيت نبيه، ومتحرياً لسنته باراً بأصحابه حتى أنه بعدما اشتد عليه عمر بن الخطاب في الحساب بعد أن عزله من إمارة البحرين ثم أغلظ له في القول ونزع منه أمواله لم يزد أبو هريرة على أن قال: (اللهم أغفر لأمير المؤمنين (٢))

ونحن لا نذكر هذه القصة كتقليل من شأن أي من هذين العظيمين اللذين يكفي ذكرهما لترتجف لهما الأرض وتخفق لهما الجوارح وسنوضح فيما بعد ما هو سبب هذه المطارحة ولكن ما نريده من ذكر هذه القصة توضيح مقدار حلمه، إذ أن طبيعي جداً لمن صبر وتحمل كل هذه الأفداح (٣) أن يكون حليماً.

(١) رواه البخاري في كتابه الأدب المفرد ص ٢٢ حديث رقم ٤٤، دار الحديث للنشر والتوزيع.

(٢) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٤١، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٣) الأفداح: الأثقال، يقال فدحه الحمل: أي أثقله.

عظمة أبو هريرة

ولما كان الصيام يفغم (١) العبد بالصبر والحلم؛ فأصبح طبيعي لمن تذوقت بطنه العيلة (٢) ، وما شكت يده الحفف كل هذا الوقت أن يكون حليماً.

ومن أعظم ما ذكر لنا من القصص التي توسق (٣) بين جوانحها توضيح مقدار حلمه، تلك القصة التي تروى:

إن زنجية كانت له فأرقتهم بصنيعها فرفع عليها السوط يوماً ثم قال: (لولا القصاص يوم القيامة لأغشينك به، ولكن سأبيعك ممن يوفيني ثمنك أحوج ما أكون إليه، إذهبي فأنت حرة لله ﷻ) (٤).

وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) مرحاً يظهر عليه جانب الهزر حتى انه رأى الصبية يوماً يلعبون في الليل لعبة الغراب، فتسلل بينهم وهم لا يشعرون، فألقى نفسه بينهم، وضرب برجليه الأرض (كأنه مجنون) يريد أن يضحكهم، ففزع الصبيان منه وفروا وهم يضحكون. وهذه القصة كما أنها تبين جانب الهزر في شخصيته فإنها أيضاً توضح مدى تواضعه

(١) يفغم: يملأ أو ينشر، يقال أفغمه بالطيب: أي دهنه .

(٢) العيلة : الفقر.

(٣) توسق: تحوي، منها قوله تعالى: ﴿وَالنَّيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾

(٤) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦٣ الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث ، وكذلك ذكر أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء ص ٣٨٤ الجزء الأول.

حيث أنه لم تمنعه قيمته كأسطون (١) العلم، وكصحابي سرط (٢) أغلب بحر علم رسول الله وحده حتى بلحت (٣) آباره عند غيره ولا مكانته كراوية الإسلام. على فعل مثل هذا الأمر.

ومما يروى عن تواضعه أيضاً أنه عندما استخلفه : مروان. على المدينة ركب: أبو هريرة . حماراً وقد شد عليه بردعة وفي رأسه خلبة من ليف، يسير فيلقي الرجل فيقول" (الطريق قد جاء الأمير) (٤).

ولما كان: أبو هريرة ملازماً لرسول الله ﷺ أصبح منطقياً أن يختضب (٥) من نوره قبس، وأن يضحخ (٦) من حسن خلقه، وأن تصيبه شُدْف (٧) من مكارم الأخلاق، وأن يصيب نهشة من الأخلاق النبوية.

فقد روى بكر بن أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ لقيه في بعض طرق المدينة وهو جنب فانخس منه، فذهب فاغتسل، ثم جاء فقال. أين كنت يا أبا هريرة؟

(١) اسطون: الجهد في العلم.

(٢) سرط: الشئ أي ابتلعه، ومنه سبي السراط لأنه يبتلع الناس.

(٣) بلحت: جفت.

(٤) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦٤ الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

(٥) يختضب: يصبغ، يقال: اختضب بالحناء : أى صبغ بها.

(٦) يضحخ: يدهن.

(٧) شُدْف: قطع، مفرداً شُدْفَة أى : قطعة .

■ عظمة أبو هريرة

قال: كنت جنباً، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة .

فقال: سبحان الله، إن المسلم لا ينجس (١)

فكان هذا من حسن سيرته أنه زجر (٢) نفسه عن التطيب
بمجالسة النبي ﷺ جنباً.

ومن هذا الحديث يتضح لنا أن النبي ﷺ ناداه: أبا هريرة، رغم أن
أبا هريرة كان يطلب من أصحابه أن ينادوه: أبا هر
كما ورد في صحيح البخاري (كتاب الأطعمة) أن رسول الله ﷺ ناداه:
أبا هر. ولعله حبت إليه هذه الكنية بعدما تشرفت بأن خرجت من بين
ثنايا المصطفى ﷺ.

(١) البخاري في صحيحه ص ٤٥ حديث رقم ٢٨٣

(٢) زجر: نفسه أى كفها ومنعها.

وقد كان من حب أبي هريرة للنبي ﷺ أنه كان من النبي ﷺ يوماً أن رفع الدرة ليضربه بها، فقال أبو هريرة: "لأن يكون ضربني بها أحب إلى من حمر النعم، ذلك بأني أرجو أن أكون مؤمناً، وأن يستجاب لرسول الله ﷺ دعوته" (١)

ويقصد بذلك الدعوة التي دعاها النبي قبل وفاته (٢).

ولكن المغزي من هذا الأمر أن أبا هريرة شك بإيمانه وهو الذي دعا له النبي ﷺ فقال: " اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهم" (٣) فكيف من جعل حبه علامة من علامات الإيمان ألا يكون مؤمناً؟! ولما بزخ (٤) حب النبي ﷺ في قلب أبي هريرة. سُجرت (٥) جوارحه شوقاً لكل ما يحبه، وقد كان هذا هو حال الصحابة، إذ أن أنس

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٦ الجزء الثامن، دار التوفيقية للتراث.

(٢) ذكر مسلم في صحيحه ص ٩٤٣ حديث رقم ٢٦٠١ عن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال: "إنما محمد بشر أغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيا رجل من المسلمين أذيته أو شتمته أو جلدته فاجعلها له قرية تقربه بها عندك يوم القيامة"، كما ورد في صحيح البخاري ص ٧٥٥ حديث رقم ٢٣٦١ إن رسول الله ﷺ قال: أيما مؤمن سبته فاجعلها له قرية".

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٤٥٦.

(٤) بزخ: ارتفع.

(٥) سُجرت: أي فاضت، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.

عظمة أبو هريرة

بن مالك قال:- " رأيت النبي يتبع الدُّباء من حوالي القصعة. قال: فلم أزل أحب الدُّباء من يومئذ" (١) فكان حتماً على أبي هريرة أن يحب كل ما يحبه النبي ﷺ وأن يحب آل بيته لحبه فكشف يوماً عن بطن : الحسن بن علي وقال:- " أرني أقبل منك حيث رأيت رسول الله ﷺ يُقبل وقبل سرته" (٢) .

وأبو هريرة هو الذي قال:- خرج النبي ﷺ في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع فجلس بفناء فاطمة فقال :- " أثم لُكع ؟ أثم لُكع؟ " فحبسته شيئاً فظننت أنها تلبسه سخاباً أو تغسله فجاء يشتد حتى عانقه وقبله وقال:- " اللهم أحبه ، وأحب من يحبه " (٣) فإذا كان هو الذي روى الحديث فكيف لا يُقبل من الحسن حيث رأى النبي يقبله؟! وإذا كان هذا حاله مع الحسن، وشدة حبه للحسين، فلا غرو (٤) أن يلتحم عضده بعضهم مع: عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير ليدفعوا الأذى عن عثمان بن عفان ﷺ ، ولا غرو أن يلتحم ساعده بساعدهم ليصدوا تلك الضربات التي تجرأت على من استحي منه رسول الله ﷺ .

(١) البخاري في صحيحه ص ٢٤٥ حديث رقم ٢٠٩٢، دار ابن الجوزي.

(٢) الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ٧٤٥٥.

(٣) البخاري في صحيحه ص ٢٤٩ حديث رقم ٢١٢٢ .

(٤) لا غرو: أى لا عجب .



لم يكن: أبو هريرة. قائداً مغواراً لا يخسر المعارك ويقود الجحافل لينفر بها على أعداء الإسلام فيدمغهم كخالد بن الوليد، ولم يكن بالرجل الذي يخترق الصفوف فيبرق المعمة^(١) بوميض الصمصام^(٢) ليشتتر^(٣) رقاب الأعداء كالبراء بن مالك، ولم يكن بالذي تعد قوته بألف رجل كالزبير بن العوام^(٤) ولم يكن بالغاثة^(٥) الذي يغرق الأرض بدهائه كعمرو بن العاص، ولم يكن بالولاج^(٦) الذي يوشج^(٧) للأعداء المكائد كالغيرة بن شعبة، ولم يكن بالذي قيل له لا يهزم جيش أنت فيه كالقعقاع بن عمرو^(٨).

(١) المعمة: الحرب ، منها قول عنتر: من لبن المعامع قد سُقيت.

(٢) الصمصام: السيف.

(٣) يشتتر: يقطع.

(٤) ذكر المتقي الهندي في كتابه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: إن عمر بن الخطاب

عد الزبير ابن العوام بألف رجل حينما أرسل المدد إلى عمرو بن العاص في فتح مصر.

(٥) الغائلة: الداھية.

(٦) الولاج : كثير الولوج، أى كثير الحيل.

(٧) يوشج: ينسج

(٨) قال عنه أبو بكر: " لا يهزم جيش فيه القعقاع بن عمرو" وذكر ابن الأثير في أسد الغابة

٤/٣٥٧ رقم ٤٣١٥ إن أبا بكر الصديق قال فيه :- " صوت القعقاع في الجيش خير من

ألف رجل".

■ عظمة أبو هريرة

لم يكن أبو هريرة أي من هؤلاء لكن هذا لم يمنعه الجهاد في سبيل الله فمئذ أن اسلم، ما تخلف عن غزوة من الغزوات مع رسول الله ﷺ فحضر أكبر المناسبات مع رسول الله ﷺ كفتح مكة ، وغزوة تبوك. كما كان: أبو هريرة . أحد الذين أوصاهم النبي ﷺ بقتل: هبار بن الأسود. بعد أن قرع (١) السيدة زينب بنت رسول الله أثناء ذهابها من مكة إلى المدينة على ظهرها، وقد كانت حامل فأملصت (٢) .

وقد روى: أبو هريرة ذلك فقال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث، فقال:- "إن وجدتم فلاناً وفلاناً - لرجلين من قريش فأحرقوهما بالنار، ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج أي كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار، وأن النار لا يعذب بها إلا الله ﷻ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما" (٣)

وقد قيل هذا الحديث في: هبار (٤) ولم يتوقف أبو هريرة عن الجهاد في سبيل الله حتى بعد وفاة النبي. فعندما استحرت (٥) هوجاء (٦) الردة في

(١) قرع: أى ضرب.

(٢) أملصت: أى أسقطت حملها.

(٣) الإمام احمد في مسنده ص ٢١٦.

(٤) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٨٨، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

(٥) استحرت: اشتدت

(٦) هوجاء: الريح المحملة بالتراب.

جزيرة العرب وغمت سماءها بالهيجاء^(١). كان لأبي هريرة نصيب منها فشارك فيها وروى عن ذلك فقال:

(قال عمر لأبي بكر: تقاتلهم وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟ قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقاتلن من فرق بينهم. قال: فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً^(٢). وأخرج البيهقي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال:- " والذى لا إله إلا هلولوا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة " (٣). كما أنه شارك في موقعة اليرموك ، وكما ذكرنا من قبل أن : أبا هريرة كان أحد السبعمائة رجل الذين تجمعوا لنصرة عثمان ﷺ ليزاحم: الحسن والحسين وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة في هذا الشرف فكان بين سيدها شباب أهل الجنة واثنتين من الأربع عبادلة يقول أبو هريرة ﷺ: " اشترى عثمان الجنة من النبي ﷺ مرتين : حيث حفر بأردومة، وحيث جهز جيش العسرة " (٤).

(١) الهيجاء: الحرب.

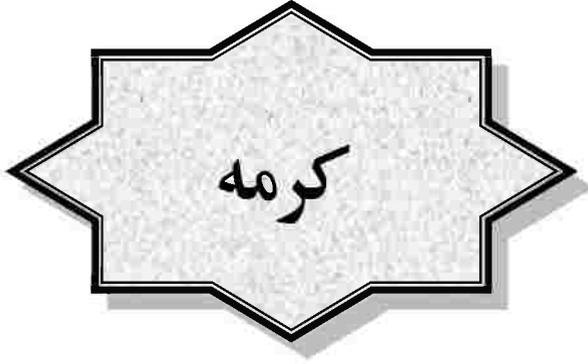
(٢) الإمام أحمد في مسنده ص ١١٨.

(٣) ذكره السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ٥٩ ، دار الفجر للتراث ، ط ٢ نقلاً عن البيهقي وابن عساكر.

(٤) أخرجه الحاكم ونقل عنه السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٢٣، دار الفجر للتراث، ط ٢.

ولعل من حرصه على الشهادة روي فقال:
(وعدنا رسول الله ﷺ في غزوة الهند فإن إستشهدت كنت من خير
الشهداء وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحررة) (١).
تلك الرواية تحمل بين طياتها شوق للشهادة ، وهيام نفس مؤمنة
أرقها فراق خالقها للإستشفاء بجنته والإرتواء بلقائه. تحمل بين طياتها
أنين قلب ممزق بفراق الأحبة، ومفعج بتمنى الشهادة، حريص على نيل
الفضل، قلبٌ زاحم أصدق القلوب فلا ينطق إلا بصدق، ولا ينبض إلا
بدقات الفضل التي تجري فيه مجرى الدم.

(١) الإمام أحمد في مسنده حديث ٧١٢٨، وكذلك الحاكم والنيسابوري في المستدرک علی
الصحيحين حديث ٤٦٢٦ طبعة سنة ١٩٩٨.



عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان" (١).

فلما كانت الخشية أحد العوامل التي تمنع الإنسان الصدقة فأصبحت الشجاعة أحد العوامل التي تصنع الكرم، وبذلك يكوم الكرم فرع من شجرة نبتها الشجاعة. ولما كانت الشجاعة أحد صفات أبي هريرة أصبح يبنق (٢) بالكرم. فهو لم ينس أنه كان فقيراً فأغناه الله، وكان طالباً للعلم فعلمه الله، وكان أعزب إذ لا يملك ما يتزوج به حتى فكر أن يختصي فأكرمه الله وزوجه: بسرة بنت غزوان. بعدما كان حافداً (٣) لها حافياً عندها، ولم ينسى أن الجوع كان يأكل بطنه فتمنعه عفته على بسط يده وتمنعه طيبة نفسه السؤال حتى ممن قال عن نفسه ﷺ " ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة" (٤).

(١) البخاري في صحيحه ص ١٧١ حديث رقم ١٤١٩، دار ابن الجوزي للطباعة.

(٢) يبنق: يزين.

(٣) حافد: خادم.

(٤) البخاري في صحيحه ص ٥٨٠ حديث رقم ٤٧٨١، دار ابن الجوزي للطباعة وكذلك

ذكر ابن كثير في تفسيره ص ٤٦٥ الجزء الرابع نقلاً عن البخاري والإمام أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم.

■ عظمة أبو هريرة

وكانت عفة نفسه هذه عينا هي التي تجبره على أن يصون عفة المسلمين فكان يعطي دون أن يسأله أحد ، ويمنح دون ان تبسط له يد، ويجود دون أن يتحرك إليه لسان .

يقول الطفاوى:

"نزلت على أبي هريرة بالمدينة ستة أشهر، فلم أر من أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً أشد تشميراً، ولا أقوم على ضيف من أبي هريرة" (١).

يقول : أبو عثمان المهدي:

" تضيفت أبا هريرة سبعاً فكان هو وامراته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثاً " (٢) .

ويبدو أن نفس: أبي هريرة لا تقبل بأن يخلو بيته من كرم أو صلاة فقد ورد إلينا أنه كان يقسم الليل أثلاثاً أيضاً مع زوجته وبنته في قيام الليل كما سنوضح.

وقد وضحنا ما سبق لنوضح كرم أبي هريرة، ولكن ما سبق ليس الوبق (٣) . فأعظم ما ورى عن كرمه ذلك الموقف الذي تجاوز كل حدود الكرم واخترق كل صفوف التصديق ليسدل علينا ذاك التعجب فقد

(١) الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء ٤٢٨/٢ .

(٢) الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء ٣٨٣/١

(٣) الوبق: الهلاك، منها قول النبي ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات" والمقصود بها هنا: النهاية.

حكى أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم فقال: " بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار، فلما كان الغد بعث إليه: إني غلطت ولم أدرك بها، وإني إنما أردت غيرك، فقال أبو هريرة: قد أخرجتها فإذا خرج عطائي فخذها منه. وكان قد تصدق بها وإنما أراد مروان اختباره " (١) .

ولولا أن أبا هريرة اشتهر بكرمه لما حاول مروان إختباره ، ولولا أن تلك الشهرة طغت وطمت وسطعت لما ضيق خناق الإختبار لهذا الحد فيرسل له عطاء ثم ما يلبث أن يأتيه الغد وكأن الأمر الطبيعي لأبي هريرة أنه اعتاد ألا يترك أموال في بيته منذ أن كان يمكث أيام تلو الأيام لا يأكل طعام .

كما يبدو أيضاً أنه جُبل على الكرم منذ قبل الإسلام، فمنذ اللحظات الأولى لإسلامه ونطق الشهادة بلسانه وقبل أن يتجرع حلاوتها قلبه كان قد أعتق غلام له فرحاً بما أصاب وهذا لا يحدث إلا لمن حُمل بصهاريج الكرم.

(١) ابن كثير في البداية والنهاية الجزء الثامن ص ٤٥٧، دار التوفيقية للتراث..



كان العرب قبل الإسلام عبارة عن قبائل تعيش على سَرَط^(١) الأخرى وأشخاص تحيي على سبي آخرين ولما استحر القتال بينهم في أشده وحالت بين رغباتهم الأشهر الحرم أتكروا النَّبِيَّ^(٢). ليستحلوا القتال فيهم ليطمسوا بذلك آخر ما تبقى من شريعة سيدنا إبراهيم عليه السلام ثم تمادوا أكثر من ذلك حتى بلغوا الفُجْر بالأشهر الحرم ليصنعوا حروب الفجار وكانت الأمور قد بلغت ذروتها قبل ظهور الإسلام فقيل:

(لو لم يظهر الإسلام لأكلت بنو تغلب العرب)^(٣).

ثم بعث الله إليهم محمداً ﷺ ليضع حداً لكل هذا وليُستر العالم العربي بالإسلام الذي ينبع منه السلام فأصبح حالهم غير الحال وصُنْعهم غير الصُنْع فصاروا خيار الناس وبهم ساد الإسلام العالم.

ففى أيام كان يتبدل حال الرجل منهم من حال إلى حال فكان عمر أشد الناس عداوة للإسلام ثم أصبح المُلْهَم عمر وأمير المؤمنين والفراروق.

وكان : حمزة بن عبد المطلب رجل يمكث أغلب وقته على الصيد فأصبح: أسد الله.

(١) سَـرَط: أى أبتلع، يقال سَـرَط الطعام : أى أبتلعه.

(٢) النَّبِيُّ: كانوا يحرمون للناس صفر عام، ويحرمون محرم عام . وهذا تفسير قوله

تعالى { إِنَّمَا النَّبِيُّ زَيْدَةٌ فِي الْكُفْرِ } التوبة الآية ٣٧.

(٣) الجاحظ في كتابه الحيوان.

عظمة أبو هريرة

فالإسلام بدل حال العرب، والعرب بدلوا حال البشرية، وبديل حال الصحابة ليظهر منهم من يبذل حال الإنسانية وكان من بين هؤلاء: أبو هريرة. فأبو هريرة قبل الإسلام يكاد يكون بلا ذكر ثم صار ملء الأذكار، ومن رجل لا يُعرف عنه شيء إلى رجل يعرفه كل شيء.

وبدأت قصة إسلام أبي هريرة من حيث انتهت قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي وتبدأ القصة كما يلي:-

كان الطفيل رجل ذو مكانة عند قومه وصاحب منزلة بينهم وكانت قريش تعرف له هذا فعندما علموا بقدمه إلى مكة بعد نبوءة النبي ﷺ سارعوا إليه ليسبقوه قبل أن يسبقهم إلى رسول الله ﷺ فانطلق إليه رجال منهم فقالوا له: " إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وفرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه، وما زالوا به حتى زحزحوه إلى الشك ثم زجوا به إلى الزكانة^(١) ومنها طوقوه بالتصديق الكامل لهم حتى أنه وضع على أذنه قطنتين وجلأ^(٢) من أن يسمع كلام الله فكان يقال له: ذو القطنتين.

(١) الزكانة: الشك الذي يصل إلى اليقين.

(٢) وجلأ: خوفاً، الوجل: هو الخوف منها قوله تعالى: " الَّذِينَ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ " سورة الحج آية ٣٥.

ويصف الطفيل هذا الحدث فيقول:-

" فوالله مازالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أذني كُرْسُفاً (قطن) فرقا من أن يبلغني شئ من قوله حتى كان يقال لي: ذو القطنتين . (١)

وبالرغم من أن الطفيل رجلاً عاقلاً لكنه خنس (٢) عقله برهة ولم يراعي أنه ما كان يجب لعقله أن يسمع ممن عقولهم عنهم صدفت فكاد أن ينخنس عن نور الإسلام لولا أن قدرة القدير قدرت المقادير فكنته بعطفها ورمقته بعين الرحمة فبعدهما عزم وأشدت عزمه على عدم السماع للنبي (ﷺ) ذهب الطفيل إلى الكعبة، وإذا برسول الله ﷺ يصلي فسمع كلامه فأعجب به ففاح عطر الإسلام بقلبه ليستنشقه عقله فيطمئن له صدره فذهب مع الرسول الكريم إلى داره فعرض عليه الإسلام وتلا عليه القرآن فقال الطفيل:- " لا والله ما سمعت قولاً قط أحسن من هذا ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق، فقلت:

يا نبي الله إني أمرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم فداعهم إلى الإسلام فداع الله أن يكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال :- اللهم

(١) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٢١٦، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

(٢) خنس: ذهب، منها قول أبي هريرة: " انخنست منه".

اجعل له آية . قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعتني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح وكان نور الإسلام طما بقلبه حتى فاض بين عينيه فأصبح مصباحاً يضيئ فجعل صوة (١) لهتهدي بها أصحاب الألباب ممن بصرتها بصيرتهم وأيقنتها أبصارهم لولا أن الطفيل ما أراد ذلك فدى الله قائلاً:-

" اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا إنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم فتحول النور فوق في رأس سوطي فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق" (٢) وعز على الطفيل أن يحجب هذا النور عن قبيلته فأخذ يدهم للإسلام فيقول:-

" أتاني أبي فقلت له إليك عني يا أبتاه فلست مني ولست منك، قال ولم يا بني؟

قلت إنى أسلمت واتبعك دين محمد،

قال:- يا بني دينك .. قال: فقلت: " اذهب فاغتسل وطره ثيابك ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم ثم أتتني صاحبتى فقلت لها:- " إليك عني فلست منك ولست مني

(١) صوة : الحجارة توضع على الطريق لهتهدي بها الناس. ج: صُوئٌ ، في الحديث الشريف " إن للدين صُوئاً ومناراً كمنار الطريق".

(٢) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٢١٦، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

قالت ولم بأبي أنت.
قلت: فرق بيني وبينك الإسلام وأني أسلمت وتابعت دين محمد (ﷺ)،
قالت:- فديني دينك،
قلت: فاذهبي إلى حسي ذى الشرى (صنم دوس) فتطهري منه،
فقالت:- بأبي أنت أتخاف على الصبية من ذى الشرى شيئاً؟
قلت:- لا أنا ضامن لما أصابك ،
قال:- فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت
ولم يكتفي ذا النور بذلك وراح ليدعو قبيلته لذلك النور الجديد
لينقذهم من الطخية (١) التي كانت قد غشيتهم ثم أكمل قائلاً:-
" ثم دعوت دوساً إلى الإسلام" (٢)
وبذلك برق نور الإسلام أرض دوس فأصاب منه من أصاب وأخفق
من أخفق وكان من أوائل الذين اغتنموا هذا النور هو أبو هريرة حيث
خفش (٣) النور بصره فأدرك قلبه ليوصم عليه إلى الأبد ويكون بداية
ولادة رجل مخلص الاسم في التاريخ، معظم الشأن بين الأمة.

(١) الطخية: الظلمة الشديدة ، يقال: ليلة طخواء: أى مظلمة بشدة.

(٢) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٢١٦، مطبوعات الهيئة العامة
للثقافة.

(٣) خفش: النور حينما يصيب البصر يعنى مؤقت.

■ عظمة أبو هريرة

وبذلك التئمت يمنى: الطفيل. مع يسرى: أبى هريرة . ليعملا معا على نشر الدعوة ولما طال الدهر ويأس الطفيل من قومه ذهب إلى رسول الله (ﷺ) وكان وقتها النبي بمكة ولم يهاجر بعد، فقال: (يا رسول الله قد غلبتني دوس فادع الله عليهم) . فقال النبي: (اللهم اهد دوس) ثم قال له النبي: اخرج إلى قومك فادعهم وأرفق بهم (١) فعاد الطفيل إلى قومه ومكث مع أبى هريرة يدعو قومه مما أقصاهما عن كثير من المشاهد التي شهدها المسلمون فحرموا حلاوة الانتصار في بدر، ولذة الحمد لحظة الإنكسار في أحد، وجمال الصبر في الخندق، وشرف المبايعة في الرضوان. ثم لحقوا بالمسلمين وكان عددهم قد بلغ سبعين أو ثمانين بيتاً فلما قدموا المدينة كان النبي(ﷺ) قد خرج بالجيش إلى خيبر.

وكانت غزوة خيبر في محرم عام ٧ هـ واستمر الفتح ما يقرب من ثلاثين يوم، مما يعني أن وصول: أبى هريرة والطفيل وأهلها إلى المدينة كان في ما بين محرم وصفر عام : ٧ هـ .

(١) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٢١٦ وفي رواية أخرى للبخارى في صحيحه حديث رقم ٦٣٩٧ إن رسول الله ﷺ قال " اللهم اهدي دوس وآت بهم " .

يقول أبو هريرة:

(خرج النبي ﷺ) إلى خيبر، وقدمت المدينة مهاجراً، فصلبت الصبح خلف سباع بن عرفطة كان النبي قد استخلفه على المدينة فقرأ في السورة الأولى سورة " مريم " وفي الآخرة " ويل للمطففين " فقلت في نفسي: ويل لأبي فلان، لرجل كان بأرض الأزد، وكان له مكيالان، مكيال يكيل به لنفسه، ومكيال يبخس به للناس) (١).

ثم أن : أبا هريرة. ذهب إلى النبي ﷺ لينطق بالشهادة بين يديه فلما قدم إلى المصطفى ﷺ جاءه غلامه بعدما كان فُقد في الليلة التي أُجتمعت في صبيحتها برسول الله ﷺ، فقال أبو هريرة للنبي: هو حر لوجه الله وأخذ ينشد :

ياليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت (٢)
وبذلك يكون : أبو هريرة ذاك الرجل حديث الإسلام الذي صار بعد ذلك للإسلام وعاء الحديث .

(١) ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ص ٤٥٩ الجزء التاسع ، دار التوفيقية للتراث.

كذلك الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء.

(٢) البخارى في صحيحه كتاب العتق ص ٢٩٦ حديث ٢٥٣٠. دار ابن الجوزى.



أسلم: أبو هريرة. ورفع راية الهجرة إلى المدينة مع الذين أسلموا من قبيلته. وكانت أم أبي هريرة (١) بصحبته على الرغم من عدم إسلامها حتى ذلك الوقت ويبدو أن الرابطة القوية بينه وبين أمه سمحت لها بصحبته على الرغم من اختلاف عباءة كل منهم ويبدو أن هذه الرابطة كانت تفوق معنى الحب. فهو الذي روى حديث رسول الله (ﷺ) حين سأله رجل. فقال: ما تأمرني؟ قال: بر أمك، ثم عاد فقال: بر أمك، ثم عاد فقال: بر أمك، ثم عاد الخامسة فقال: بر أمك. (٢)

كما أنه ضمن على نفسه أن يحج ويترك أمه فلازمها حتى ماتت وكان باراً بها فلا يأكل إلا بعد أن يمسك لها قوتها ولعل من أجمل ما ذكرتلك القصة التي يرويها فيقول: (كنت في سبعين رجل من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء أما بردة أو كساء قد ربطوهما في أعناقهم. ويشتد بهم الألم من الجوع ، فيخرج من بيته إلى المسجد لا يخرج إلا الجوع فيجد نفراً من أصحاب رسول الله (ﷺ) .

فيقولون : يا أبا هريرة. ما أخرجك هذه الساعة؟

فيقول: ما أخرجني إلا الجوع

(١) هي ميمونة بنت صفح بن الحارث بن أبي الصعب .. كما ورد في البداية والنهاية

٨/٤٥٤ نقلاً عن الطبراني والكلبي.

(٢) أخرجه ابن عساکر ص ٥١٦ . وكذلك ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٤٥٥.

يقول أبو هريرة: فقمنا فدخلنا على رسول الله (ﷺ)
فقال: ما جاء بكم هذه الساعة ؟
فقلنا : يا رسول الله جاء بنا الجوع
قال : فدعى رسول الله (ﷺ) بطبق فيه تمر، فأعطى كل رجل منا
تمرتين، فقال: كلوا هاتين التمرتين واشربوا عليهما من الماء فأنهما
ستجزيانكم يومكم هذا .

قال أبو هريرة: فأكلت ثمرة وجعلت ثمرة في حجرتي.
فقال رسول الله (ﷺ) : يا أبا هريرة لم رفعت هذه الثمرة؟
فقلت : رفعتها لأمي.

فقال: كلها فإننا سنعطيك لها تمرتين، فأكلتها فأعطاني لها تمرتين^(١)
ومنهذه التصرفات كان: أبو هريرة نعم الابن، ولما كان مروان يستخلفه
فيكون بذي الحليفة، وأمه في بيت آخر، فإذا أراد أن يخرج وقف على
بابها ..

فقال: السلام عليك - يا أمتاه - ورحمة الله وبركاته
فتقول: وعليك يا بني ورحمة الله وبركاته
فيقول: رحمك الله كما رببتي صغيراً.

(١) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٤٠، مطبوعات الهيئة العامة
للثقافة.

فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله فكان نعم الأمير^(١).

وروى أبو حازم أن أبا مرة - مولى أم هانئ بنت أبي طالب - أخبره: أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمته. تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً فتقول: يا بني فجزاك الله خيراً ورضى عنك كما بررتني كبيراً .^(٢)

ولما كان هذا حاله مع أمه فيجوع لجوعها ويتنغص لتنغصها، فلا بد أن عدم إسلامها كان يشق جرحاً عميقاً في قلبه، ورؤيته لأمه دون أن ينقذها من نار الكفر كانت تفسر قلبه مما كان يدفعه إلى محاولة دعوتها للإسلام وكان حبه لها يجعله لا يتوقف عن المحاولة فكان يكرر المحاولة تلو المحاولة حتى أنها تضجرت منه فأسمعته في رسول الله (ﷺ) ما يكره فذهب إلى النبي وقد أحاط به تلك الشعور الذي ترى فيه ما تُحب يُلقى بنفسه إلى الخيال^(٣) فلما تنصحه يزجرك وإذا زجرته سبك وإذا كففته أهان لك كل ما تملك وهو حب رسول الله (ﷺ) فاجتمعت هذه الأمور

(١) البخاري في كتابه الأدب المفرد ص ١٣ حديث رقم ١٢، دار الحديث القاهرة.

(٢) البخاري في كتابه الأدب المفرد ص ١٤ حديث رقم ١٤، دار الحديث القاهرة.

(٣) الخيال: الهلاك، منها قوله (ﷺ): " من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخيال حتى يخرج مما قال ". رواء الإمام أحمد ٢/٧٠ رقم ٥٣٨٥.

■ عظمة أبو هريرة

لتطوق أبا هريرة فما كان منه إلا أن نطفت دموعه (١) وذهب إلى النبي يقول: " يا رسول الله، إني كنت أدعو أم أبي هريرة إلى الإسلام فتأبى على وإني دعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدى أم أبي هريرة إلى الإسلام ففعل".

فجئت البيت فإذا الباب مجاف وسمعت خصخصة الماء وسمعت حسي (٢) فقالت: كما أنت، فلبست درعها وعجلت عن خمارها، ثم قالت:- " أدخل يا أبا هريرة فدخلت "

فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله فجئت أسعى إلى رسول الله (ﷺ) أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: أبشر يا رسول الله (ﷺ) فقد أجاب الله دعوتك، قد هدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام ثم قلت: - يا رسول الله (ﷺ) أدع الله أن يحبني وأمي إلى المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة .. فقال رسول الله (ﷺ): " اللهم حبب عبيدك هذا إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين: فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني " (٣)

(١) نطفت: قطرت، يقال: سيفه ينطف دماً: أى يقطر.

(٢) حسي: صوتي.

(٣) مسلم في صحيحه ص ٩١١ حديث رقم ٢٤٩١ كذلك ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٤٥٦ / ٨/ إن رسول الله (ﷺ) قال:- " اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهم ".

وكذلك روى أبو كثير السحيمي فقال: سمعت أبا هريرة يقول: ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني: إن أمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى فقلت لها فأبت، فأتيت النبي (ﷺ) فقلت: ادع الله لها فدعا، فأتيها وقد أجافت عليها الباب: فقالت يا أبا هريرة: إني أسلمت فأخبرت النبي (ﷺ) فقلت:- ادع الله لي ولأمي فقال:- " اللهم عبدك أبو هريرة وأمه أحهما إلى الناس " (١).

وبتلك الدعوة تسحسح (٢) حبه إلى قلب كل مؤمن فمكانته بين أمة الإسلام محفوظة لا يبخصها إلا منافق فهو من نُضار النُّضار (٣) من صحابة رسول الله (ﷺ).

يقول ابن سيرين : كنا عند أبي هريرة ليلة فقال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي ولمن استغفرلهما (٤)، يقول ابن سيرين: فنحن نستغفرلهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة . ولما كان هذا حاله، وكانت الدعوة التي دعاها له النبي مقتصرة على المؤمنين أصبح: أبو هريرة بُرجاس (٥)

(١) البخارى في كتابه الأدب المفرد ص ١٩ الحديث رقم ٣٤ .

(٢) تسحسح: سال، يقال عين سحساحة: أى سيالة للدمع.

(٣) النضار: الخالص من كل شئ، يقال: ذهب نضار: أى ذهب خالص.

(٤) البخارى في كتابه الأدب المفرد ص ٢٠ الحديث رقم ٣٧ ، دار الحديث القاهرة .

(٥) بُرجاس: هدف يوضع بمكان مرتفع فيصوب عليه. والمقصود هنا الهدف الذي يتوجه إليه.

■ عظمة أبو هريرة

لطغام^(١) القوم، فأبو هريرة حاله كحال باقي صحابة رسول الله (ﷺ) إذ أن المنافقين تجرأوا على عثمان (رضي الله عنه) ثم خالد بن الوليد وبعض من صحابة النبي وما زالت أبصارهم تتجرأ على من تستحي منهم البصيرة حتى أن أعينهم خنزرت^(٢) فلم يسلم منهم ولم يرحموه فكانوا يلهزون^(٣) بالشولة تلو الشولة^(٤) وبالذعاف تلو الذعاف^(٥) فلا يزداد إلا قوة، ولعل ذمه من قبل أوباش القوم هو قمة المدح له.

فمهما حاولت أصابعهم أن تتلاعب بين السطور لتشوه تاريخه ومهما حاولت أقلامهم أن تبعد الكلمات عن بعضها لتمحو اسمه فلن يزداد اسمه إلا صلابة في القلوب.

وسيدكر اسم أبا هريرة دوماً مصحوباً بتلك الكلمات : إنه الرجل الذي كتب له القدر أن يتأخر إسلامه ولكنه كتب لنفسه أن يسبق من عندهم تأخر، فسنم بنفسه فبدل العرقلة بهرولة والتأخر بتقدم.

(١) طغام القوم: أوباش القوم.

(٢) خنزرت: نظرت بمؤخر عينه.

(٣) لهز: فلان الرمح أي : ضربه، والمقصود هنا: يضربونه.

(٤) الشولة: اللدغة.

(٥) الذعاف: السم القاتل من لحظتها، يقال موت ذعاف : أي سريع



قسم الله الأفضال بين صحابة رسول الله (ﷺ) فكان أبو بكر صديقاً، وعمر فاروقاً وعثمان حياً، وعلى باباً للعلم (١)، وخالد سيفاً مسلولاً، والزبير حوارياً (٢)، وأبو عبيدة أميناً للأمة (٣)، وأبي بن كعب سيداً (٤)، ومصعب بن عمير سفيراً (٥)، ثم دارت الرحي وتقلب الزمان فكتب أبو هريرة اسمه بجوارهم كراوية الإسلام.

فكان أبو بكر هو الذي أعاد الإسلام إلى جزيرة العرب بعد الردة، وعمر حوال بين الحق والباطل، وعلى القاضي الذي قال فيه عمر أعود

(١) ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٣٧، دار الفجر للحديث، ط ٢ عن علي قال: - قال رسول الله (ﷺ) -: " أنا مدينة العلم، وعلى بابها" كذلك أخرج الترمذي والحاكم، وأخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه ص ٤٤٢ حديث رقم ٣٧١٩ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ﷺ): " إن لكل نبى حوارياً وحوارى الزبير بن العوام" ..

(٣) أخرج البخاري في صحيحه ص ٤٤٤ حديث رقم ٣٧٤٤ عن انس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال:- " إن لكل أمة أميناً وإن أميننا ايها الأمة أبو عبيدة بن الجراح "

(٤) ذكر ابن الأثير في أسد الغابة ١/٦٤ أن عمر بن الخطاب كان يقول :- " أبى سيد المسلمين" .

(٥) ذكر ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٤٢ عن البراء بن عازب قال:- " أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله (ﷺ) مصعب بن عمير والبراء بن عازب " وبذلك اصبح مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام.

بالله من مسألة ليس فيها أبا الحسن^(١)، وخالد بن الوليد السيف الذى تسحسحت^(٢) به الفتوحات لتعلو راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان عثمان بن عفان هو جامع الناس على المصحف ليزود عن القرآن ما لم يزد قسطنطين ولا من كان قبله عن كتابهم، فوصل كتاب الله بين يدينا خالصاً لا تتخلله ذرة شك ثم جاء صاحب هذا الكتاب متكئاً على قوة عائشة، وعظمة عبد الله بن عمر، ورجاحة أنس بن مالك ليتحملوا الجزء الأكبر في الدفاع عن السنة وعن أحاديث رسول الله ﷺ. وقد كان أبو هريرة هو أكثرهم رواية، وأقواهم حفظاً، وأقدرهم نشرًا للعلم؛ فحظى بالنصيب الأكبر من الهجوم الذى أحكمه عليه أصحاب القلوب المألوسة^(٣) والألباب^(٤) الذفيفة^(٥) لإسقاط السنة من عنقها إذ أنه لو تم التشكيك في أبي هريرة ضُعب الصحيحين، وكُذب الصحابة وشُكك في الفقه، ولأول الفاسقون كلُّ حسب هواه .

(١) ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٣٧ عن سعيد بن المسيب قال:- كان عمر

ابن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن.

(٢) تسحسحت: أى سألت.

(٣) المألوسة: أى أصابها مس من الجنون، ذكر في نهج البلاغة إن الإمام على قال لأهل

الكوفة: " فكأن قلوبكم مألوسة".

(٤) والألباب: العقول.

(٥) الذفيفة: والمقصود هنا.. التى لا تجيد التفكير.

وأبو هريرة هو أحد أهل الصفة حالة كحال: أسماء بن حارثة وهند ابن حارثة، وأهل الصفة هم أكثر أصحاب النبي (ﷺ) فقراً، وهم أصحاب الفاقة^(١) التي لا تختع^(٢) فكانوا ضيوف على الإسلام إذ تركوا الدنيا وجاءوا مهاجرين ليبايعوا الله ورسوله فكان رسول الله (ﷺ) يطعمهم بنفسه مما أتاح له أن يكون بجوار النبي خاصة أنه كان عريف أهل الصفة فكان إذا أراد النبي (ﷺ) أن يجمعهم لطعام أولئى ما ؛ دعى لأبى هريرة يدعوهم لمعرفة بهم وبمنازلهم ومراتهم^(٣) مما أتاح له قريباً من النبي (ﷺ) فكان يقول:

" ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله (ﷺ) كأن الشمس تجرى في وجهه " (٤).

(١) الفاقة: الحاجة.

(٢) تختع: تهرب، منها سميت الدنيا ؛ بالختعور لأنها لا تدوم لأحد.

(٣) البخارى فى صحيحه ص ٧٤٣ حديث ٦٢٤٦ كتاب الاستئذان عن أبى هريرة (ﷺ) قال: دخلت مع رسول الله (ﷺ) فوجد لبناً فى قده فقال: " أبأ هر إحق أهل الصفة فادعوهم إلى".

(٤) الترمذى فى كتابه الجامع حديث رقم ٣٦١٠، كذلك ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية ليوضح صفة النبي (ﷺ).

عظمة أبو هريرة

فقد كان النبي (ﷺ) للصحابة شمساً إذا غابت أظلمت حياتهم وبذلك جحا (١) أبو هريرة بين يدي المصطفى وجحا (٢) الدنيا وما ملكت من أجل سطر علم في ذهنه يحفظه فمهما حنقت معضلات الحياة على رقبته الرصين (٣) فكان الجوع يأكل بطنه والفقير يعرق عظامه (٤) فما زاغ بصره عن طلب العلم، فتجده رغم كل هذه الظروف لا يريم مكانه (٥)، فلا يحاول أن ينشغل بتجارة أو زراعة أو أى من أمور الحياة أو حتى انه لم يحاول أن يوفق بينهما (أي العلم والمال). فكان العلم هو شغله الشاغل الذي لا شغل ينشغل به سواه، فحفظ إذ نسى أصحابه، وحضر إذ غاب جلساءه، فقمقم (٦) العلم إذ عجزت آذانهم مجتمعة على قمت (٧) ما حفظ حتى علا شأنه فأرض اسمه بين ثنايا كتب التاريخ .

(١) جَحَا: أقام، يقال جَحَا هناك: أى أقام هناك.

(٢) جحَا: ركل الشئ بقدمه، يقال : جحَا برجله : أى نسف بها التراب.

(٣) الرصين: الثابت المحكم، رصين: من كل شئ الذي استحكم واشتد ثباته والمقصود به هنا الجبل المتين.

(٤) يعرق عظامه : أى أكل ما عليها من اللحم نهشاً بأسنانه.

(٥) لا يريم مكانه: أى لا يبرح مكانه، رام عن الشئ : ابتعد عنه.

(٦) قمقم: أى جمعه ، قمقم العلم: أى جمع العلم.

(٧) قمت : جمع الشئ بهم، والمقصود هنا: المبالغة في الإجهاد لجمع العلم.

وأما قصة طلبه للعلم فهي قصة طويلة مجهولة البداية لكنها معلومة النهاية فنحن لا نعلم إذا ما كان أبو هريرة محبا للعلم منذ صغره أم لا لعدم معرفتنا شئ عن حياته قبل الإسلام، ولكن المؤكد لنا هو أنه كان بالعلم في شغف عن ما سواه وبحبه له غارقاً في بحريلفظ اللغب^(١) إلى الملطاط^(٢) لكي لا يسمح لشئ أن يعكر جمال ماءه ويصد علو أواجه، فكان في طريق طلبه للعلم تروي القصص وفي إصراره على المضي تُحكي الأساطير، وتُسطر الحكايات.

وعندما تجمع أسلوبه في طلب العلم وطريقة جمعه لأحاديث النبي ﷺ وتدقق التفكير في كيفية وصوله للكيفية التي جعلت قلبه طارداً لكل شئ جاذباً للعلم كارهاً للدنيا مُحباً للأخرة، فعندما تجمع هؤلاء معاً ثم تكتب ناتج جمعهم بعد الفذلكة تستنتج سطور ترسم بها خريطة يمكن لطالب العلم أن يسير في خطاها إذا ما أراد أن يبلغ نهاية كنهائته وعلو كعلوه.

فأبو هريرة صاحب إصرار لا يفل وعزيمة لا تضعف وإرادة لا تنكسر فما أعاقه جوع وما أضعفته قلة حاجة، طاقة من قوة البأس فوجهها إلى

(١) اللغب: التعب ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: " وما ماسنا من لغوب". سورة ق : آية ٣٨.

(٢) الملطاط : أى شاطئ البحر.

العلم. فكان رسول الله (ﷺ) يسأله: "ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ فقال: أبو هريرة: أسألك أن تعلمني مما علمك الله" (١) فقد كان المال والغنائم منبع تتسابق إليه الأيدي لتقطف منه حتى فيما بين صحابة النبي (ﷺ). فقد روى عن جابر بن عبد الله أنه قال:

" بينما نحن نصلي مع النبي (ﷺ) إذا أقبلت من الشام غير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقى مع النبي إلا إثنا عشر رجلاً.

فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] (٢)

فالتبيعة البشرية لا بد وأن تُضفي بلونها في بعض أحيانها ويبقى صانعي التاريخ وعظماء الزمان لا يتلونون ولا تتبدل جلودهم فأهدافهم ثابتة لا يحددون عنها وإذا لم يكن لهم ما يدفعونه ليلبغوها فإنهم لا يتأخروا على أن يدفعوا حياتهم دفعا لتقر قلوبهم بما تطيب به الأنفس. وأبو هريرة بالتأكيد أحد هؤلاء العظماء حيث ما سعى يوماً إلى أي مما يسعى إليه البشر بدافع طبيعتهم، وكان حتماً عليه أن يختار إما أن يكون طالب علم أو طالب مال فنبت الثانية لأجل الأولى، وبذلك اجتمع لأبي هريرة أهم أسباب النجاح ألا وهو: (أركض خلف ما تحب ولا تسمح لشيء أن يوقفك) فأحب العلم وركض خلفه وألقاه الدهر بعقباته فما

(١) ذكره ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ص ٤٦٢ الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

(٢) البخاري في صحيحه ص ٢٤٢ حديث رقم ٢٠٦٤.

سمح له أن يوقفه فما كان يخشى العيلة (١) ولا نضيض الوفر (٢) ولكنه كان يذوب رعباً من أن تفوته كلمة قالها النبي (ﷺ) وكلما زاد الولع زادت الجرأة فتجراً حينما احتجم أصحابه وسأل حينما استحي جلساءه وفي هذا يقول أبي بن كعب:

" إن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله (ﷺ) عن أشياء لا نسأله عنها".

وفي الواقع يتعجب القارئ إذ أن حياء أبا هريرة كان يمنعه من مجالسة النبي جنباً ثم يضمحل حتى تغلبه الجرأة فيسأل عن مالا يسأله غيره والجواب يكمن بين هذه السطور:
(كلما زاد الحب قل الحذر).

فأحب العلم وأزداد حبه له حتى انعدم الحذر، فكان يسأل بلا حذر فبدا الأمر للمشاهد أنه كثير الجرأة، وجرأته هذه التي تحمل بين طياتها عظيم الشغف بالعلم هي التي دفعته إلى قوله للنبي (ﷺ): (يا رسول الله إني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه) فقال له النبي (ﷺ) " أبسط رداءك "

(١) العيلة: الفقر والحاجة، في القرآن الكريم قوله تعالى : " وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله". سورة التوبة : آية ٢٨.

(٢) نضيض الوفر: الفقر

■ عظمة أبو هريرة

فبسطته فغرف بيده فيه ثم قال: ضمه فضممته فما نسيت حديثاً بعده
(١).

وبالتأكيد إن انفراد أبي هريرة بهذا الفضل دوناً عن كل صحابة النبي
(ﷺ) كانت نتيجة أدت إلى سبب. فعالم الصحابة امتلأ بالعلماء وطالبي
العلم وأصحاب الحب المعلق بكلام الله وأحاديث نبيه، لكن رغم هذا لم
يحدث هذا الأمر مع: أبي بن كعب وهو أعلم الأمة بكتاب الله أو معاذ بن
جبل وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام أو عبد الله بن مسعود أو زيد بن
ثابت أو عبد الله بن عباس أو الملهم عمر أو غيرهم ممن ضج البصر
بتلأهم وامتلاً الفؤاد بأذكارهم وممن تشرفت الأرض بحمل أقدامهم.

فأبو هريرة وحده هو الذي انفرد بهذا الأمر؛ ولكل شئ سبب ولكل
نتيجة أسباب قد هيأت لها الحدوث وأحدثت لها ما يجب لأحداثها. فلولا
أن أبا هريرة سعى بكل قوة لطلب العلم حتى أن سعيه أحدث جرأة
وجرأته دفعته لهذا الطلب لما نال ما أراد، ولولا أن طلبه للعلم كان شغله
الشاغل لما وصل لهذه المكانة وهذا الأمر سيتضح في هذه القصة ..

(جاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله عن شئ، فقال له زيد: عليك أبا
هريرة، فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى

(١) مسلم في صحيحه ص ٩١١ حديث رقم ٢٤٩٢ . والترمذي في سننه حديث رقم
٣٨٣٥. وكذلك ذكره ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٤١.
مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

ونذكره، إذ خرج علينا النبي (ﷺ) حتى جلس إلينا، فسكتنا فقال: عودوا إلى الذي كنتم فيه، قال زيد: فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله (ﷺ) يؤمن على دعائنا، ثم دعا أبو هريرة، فقال: اللهم إني أسألك ما سألك صاحباي، وأسألك علماً لا ينسى.

فقال النبي (ﷺ): آمين فقلنا يا رسول الله (ﷺ) ونحن نسأل الله علماً لا ينسى، فقال النبي (ﷺ): سبقكم بها الغلام الدوسي (١) فزيد بن ثابت هو من تحمل مسئولية جمع القرآن بناءً على تكليف خليفة رسول الله (ﷺ) أبو بكر الصديق وقال عن ذلك: " فوالله لو كلفني نقل جبل أنقله حجراً حجراً ما كان أثقل عليّ مما أمرني به " (٢) ، وزيد بن ثابت هو الذي كلفه النبي (ﷺ) بتعلم العبرانية فتعلمها في سبع عشرة ليلة وقال عنه رسول الله (ﷺ) (أفرضكم زيد) (٣) ورغم قدره وشغفه بالعلم فقد كان أبو هريرة صاحب السبق، وليس هذا تقليل من شأنه لكنه رفع من قدر أبي هريرة، وهو ما بلغ هذه الرفعة من فراغ ولكنما شغله العلم حتى امتلأ به شغف؛ فعندما أُتيحت له فرصة أن النبي (ﷺ) يؤمن على دعوته

(١) ابن حجر في الإصابة ٤/٢٠٨ قال عنه حديث حسن .

النسائي في السنن الكبرى حديث رقم ٤٧٥٠ .

(٢) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٥٩، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

(٣) ابن الأثير في كتابه أسد الغابة ص ٣٢٣ الجزء الثاني، المكتبة التوفيقية.

عظمة أبو هريرة

فاغتنمها فسبق صاحبيه وطلب علم لا ينسى وما زال هذا الأمر مطلب عظيم له حتى رزقه الله إياه.

وقد تشابهت أخلاق أبي هريرة كثيراً مع باقي رواة الأحاديث فتجد قصصهم كحبات العقد تكمل بعضها بعضاً وتتبع كل واحدة الأخرى كحذو القذة بالقذة (١) ، فمثلاً: تتعجب عندما تسمع تلك القصة ل : عبد الله بن عمر التي يمكن سرد ملخصها كالآتي: إنه جاءته العطايا ليلاً فأنفقها جميعاً في سبيل الله ثم استدان صباحاً لكي يشتري أحد حاجاته وبعث إليه معاوية يوماً بمائة ألف فما حال عليه الحول وعنده منها شيء، وما كان يأكل طعاماً إلا وعلى مائدته يتيم (٢) .

وإذا ما راجعت كرم أبا هريرة تجد تلك القصة التي يرويها كاتب: مروان بن الحكم (بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار، فلما كان الغد بعث إليه: إني غلطت ولم أردك بها، وإني إنما أردت غيرك، فقال أبو هريرة: قد أخرجتها، فإذا خرج عطائي فخذها منه - وكان قد تصدق بها - وإنما أراد مروان اختباره (٣).

(١) حذو القذة بالقذة: مثال يضرب في الأشياء التي تتشابه، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة "، والقذة: ريشة الطائر كالنسر والصقربعد تسويتها وإعدادها لتركب في السهم .

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية، ص ٤٥٦ الجزء الثامن، دار التوفيقية للتراث.

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية، ص ٤٥٧ الجزء الثامن.

وفي الحقيقة إذا ما أمعنت النظر وأطلت التفكير تجد أن هاتين القصتين يعكسان شخصيتهما ويوضحان كثير من الجوانب المشتركة بينهما فمثلاً: كلاً منهما لم يمهل المال عنده إلا عتمة الليل، وكلاً منهما أنفق أمواله جميعاً دون إمساك. وواضح بينهما ذلك التشابه الكبير في الشخصية .

فقد روى البخاري في صحيحه إن ابن عمر وأبو هريرة كانا يخرجان إلى السوق في أيام العشر من ذي الحجة يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما. وعندما تضيف أيضاً إلى أبي هريرة . تلك المقارنة بينه وبين ابن عباس ..

قال ابن عباس:

(إنه كان يبلغني الحديث عن الرجل، فأتى بابه وهو قائل، فأتوسد رداي على بابه، تسفي الريح على من التراب، فيخرج فيقول:
" يا ابن عم رسول الله (ﷺ) ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلى فأتيك؟
فأقول: لا! أنا أحق أن أتيك، فأسأله عن الحديث". (١)

ويقول أبو هريرة:

(إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت على طريقهم، فمر بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله - ما أسأله إلا ليستبعني - فمر ولم يفعل فمر عمر

(١) ابن كثير في البداية والنهاية، ص ٦٣٧ الجزء الثامن، دار التوفيقية للتراث.

كذلك، حتى مر رسول الله (ﷺ) فعرف ما في وجهي من الجوع، فقال: أبو هريرة؟ قلت: لبيك يا رسول الله فدخلت معه البيت فوجد لبنا في قدح، فقال: من أين لكم هذا؟ قيل: أرسل به إليك فلان فقال: يا أبا هريرة. انطلق إلى أهل الصفة فادعهم^(١). فكلاهما اشتركا في الجلوس عند أبواب البيوت وتحمل التراب إذ سفر على الوجوه والغاية واحدة وهي طلب العلم وكلاهما أحبا النذل لأنه جاء نتيجة لسبب أسمى وهو حب العلم.

يقول ابن عباس:

(ذلك طالباً فعززت مطلوباً)^(٢)

فهم أشبه بماء ينبع من أحادي المنبع فأخلاقهم وتصرفاتهم تنبع من مكارم الأخلاق المحمدية، فهي جزء من عظيم خلق شبه بالقرآن وهي قطعة من مقتطفات وُجدت من آيات الله وكُتبت من قرآنه وعندما تتمعن بين نسيج سيرة كل من هؤلاء معاً على وجه التحديد سواء كان: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك تجد إنهم طراز نادر جداً من البشر.

(١) الأصبهاني في حلية الأولياء ١/٣٧٩. وكذلك ذكره البخاري باختصار في صحيحه ص

٧٤٣ حديث رقم ٦٢٤٦.

(٢) أخرجه الدينوري في كتابه المجالسة وجواهر العلم ٤/٤٣٩، وكذلك ذكره الغزالي في

كتابه إحياء علوم الدين ص ٢٤ الجزء الأول.

فالأول توفي النبي وكان عمره خمس عشرة سنة (١)
 والثاني توفي النبي وكان عمره واحد وعشرون سنة (٢)
 والثالث توفي النبي وكان عمره عشرون عاماً (٣)
 فإذا ما أضفت لهم: أبا هريرة؟ دون أن تخرج: زيد بن ثابت. من
 ذهنتك فإنك ستقاد إلى الدهشة ، فإن نهضة الأمة في جانب علم الحديث
 ثم تصدر الفتوى كانت من أصغر الصحابة سناً .
 ويبقى السؤال: أين كبار الصحابة من الفتوى إذا ما استثنينا على
 بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.
 والإجابة على الرغم من أنها تحتاج إلى تفكير طويل لكنها سهلة وهي
 أن صحابة النبي كانوا منشغلين في الجهاد، وماكثين في رفع شأن الأمة،
 ومنهمكين في صنع عزتها وزيادة رفعتها .

-
- (١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٦٣٥ عن ابن عباس قال:- قبض رسول الله ﷺ
 وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون..
- (٢) أخرج البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٠٩٧، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية
 ٨/٣٦٨ أن النبي ﷺ رده يوم أحد لصغر سنه مع البراء بن عازب وأسيد بن ظهير وأبو
 سعيد الخدري ثم أجاز لهم القتال يوم الخندق وهو عن عمر خمس عشرة سنة.
- (٣) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٩/٨٩ إن أنس بن مالك قال " قدم رسول الله ﷺ
 المدينة وأنا ابن عشرين سنين وتوفي وأنا ابن عشرين سنة".

■ عظمة أبو هريرة

وهؤلاء الصحابة على وجه التحديد لم يكونوا بأصحاب الدور البارز في الجهاد والفتوحات وكسر الحصون ودق الطبول وضرب أعناق الكفار وبترا أشلاء المنافقين لكن تصدر لهذا المشهد غيرهم وتولى زمام الأمر طراز آخر بطبيعة أخرى كعمرو بن العاص وأبو عبيدة بين الجراح، وشرحبيل بن حسنة، والمثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان.

فالأمة الإسلامية أشبه ببساط (هو حدود الدولة الإسلامية) يحمل عليه قوم يرفعون راية لا إله إلا الله (هم المسلمون) وتدفع بالخيال (هي العلم) التي يتحكم في سيرها رجال أقوياء (هم العلماء) ويحاطون جميعاً بالفرسان المدججين بالسلاح (هم الجيش) ويستظلون جميعاً بسحابة تضبط تحركاتهم (هي الشريعة) وكل هذا لا قيمة له بلا حاكم محنك يحسن توظيف إمكانياته (هو الخليفة) وضبط رعاياه وإجبارهم على العودة إذا ضلوا، فإذا أخلت الأمة بنظام من أنظمتها أو بركن من أركانها فسدت . فمثلاً دأب الخليفة العباسي المأمون على إستخراج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس^(١)، وازدادت بعهدده حركة ترجمة الكتب ليضعها في مكتبات المسلمين فغصت^(٢) مكتباتهم بالكتب حتى

(١) ذكره السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ٢٦٠، دار الفجر للتراث.

(٢) فغصت : امتلأت حتى لم يبقى بها منفذ، يقال غصت الساحة بالزوار: أى امتلأت.

تصدعت (١) الأرض تحتها، فمكتبة قرطبة^(٢) وحدها كانت تحمل نصف مليون كتاب، ومكتبة دار العلم بالقاهرة كان بها أربعون قسماً وكل قسم يختص بفرع من فروع العلم. وكان يحتوى كل قسم على ثمان عشرة ألف كتاب.

وكل ما ذكر لا يمثل شيئاً إذا ما قارنته بمكتبة بغداد^(٣) التي ظلت أكبر مكتبات العالم بلا مثاور ولا ند لمدة خمسة قرون.

وقد بلغ تقدير الخلفاء والحكام للعلم أكثر من ذلك حتى أن الخليفة العظيم القائد: منصور المبريني. عندما انتصر في إحدى معاركه على الصليبيين سنة ٦٨٤ هـ وأجبرهم للخضوع له بلا شرط وعقد معهم الصلح؛ اشترط عليهم لكي يتم الصلح أن يعيدوا الكتب التي أخذوها من مكتبات المسلمين في قرطبة وإشبيلية وطليطلة. ولم يكن التنافس بين علماء المسلمين أقل ضراوة وأخف حدة من تنافس كل مكتبة على حمل ما لا تحمله أختها من الكتب. حتى أن: صاحب ابن عباد (أحد علماء

(١) تصدعت: تشققت، في القرآن الكريم قوله تعالى: " لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشِيْعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ".

(٢) مكتبة قرطبة هي واحدة من أكبر مكتبات العالم في زمانها فقد تأسست عام ٢٣٨ هـ وبلغت أزهى عصورها في عهد الحكم بن عبد الرحم الناصر.

(٣) مكتبة بغداد: هي أعظم دور العلم في التاريخ الإسلامي منذ أن أسسها هارون الرشيد سنة ١٧٠ هـ حتى دمرها المغول سنة ٦٥٦ هـ، قيل عنها أنه لولا تدمير هذه المكتبة لاحتفظ العالم الإسلامي بتقدمه حتى الآن.

■ عظمة أبو هريرة

المسلمين في القرن الرابع الهجري) كان يحوي في مكتبته كتب أكثر من الكتب التي كانت توجد في قارة أوروبا كلها كما ذكرت مصادر أوروبية.

فظهر: جابر بن حيان. وهو أول من اخترع ورق مقاوم للحريق^(١) وهو أول من أضاف إلى الزجاج ثاني أكسيد المنجنيز ليتبدل لونه من الأخضر إلى الأبيض.

وظهر الأديسي وهو صاحب أول خريطة في العالم ورسمها على كرة ليثبت أن الأرض كروية^(٢).

وظهر: أبو بكر الرازي. وهو أول من أجرى عملية في العين لاستخراج الماء الأبيض^(٣).

وظهر: ابن النفيس، وابن الهيثم، وأبو كامل المصري، وموسى بن شاكر... وغيرهم. وقد بلغ الرقي أعلى مداه في بلاد الإسلام حتى أن مستشفى المنصور الموحدى كانت تحتوي بداخلها على عدة بحيرات كما

(١) اخترع الورق المقاوم للحريق تلبية لرغبة الإمام جعفر الصادق حينما ألف كتاب (الضميم) وطلب من جابر بن حيان أن يبتكر ورق مقاوم للحريق حتى ينسخ الكتاب عليه .

(٢) مكث الإدريسي قرابة خمسة عشر عاماً لإنجازها فاستحق الإشادة من الجميع. يقول عنه ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة ١٣/٣٥٨ : " كانت هذه الخرائط اعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط في العصور الوسطى، لم ترسم قبلها خرائط أتم منها، أو أدق ، أو أوسع وأعظم تفصيلاً".

(٣) الذهبى في سير أعلام النبلاء ٢٧/٤٠٣ ..

أن المنصور الموحي اعتاد الذهاب بنفسه لزيارة المرضى. ولم يكتف المسلمون بهذه المستشفيات التي ما عرفها العالم حتى ذلك الوقت لكنما ذهبوا ليتفننوا في صنع المستشفيات المتنقلة (١)، وأول مستشفى ثابتة للمسلمين كانت بعهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ ثم تبعتها بتسع قرون أول مستشفى بأوروبا (كانت في باريس). وقد كانت سيرة علماء المسلمين تحوي بين طياتها غرائب أهلتهم لصنع مجتمع يفوق نظرائه بمئات السنين. فقد روى أن ابن سينا تعرّض عليه فهم كتاب فقرأه أكثر من أربعين مرة، وروي عن ابن رشد أنه لم يدع النظر في الكتب طوال أيام حياته إلا ليلتين (٢). فقد كان الوقت في عصور العزة للمسلمين هو العمود الفقري للمسلم إذا ما أهمله خُزل (٣). ظهره وأصبح عالة على المجتمع، شاذ عن النخيزة (٤)، ملفوظ مما حوله، ولم يكن هذا الأمر

(١) المستشفيات المتنقلة بدأت فكرتها في غزوة الخندق سنة ٥ هـ حينما أمر النبي ﷺ بضرب خيمة متنقلة لرفادة بنت سعد الأسلمية لعلاج المرضى وعرفت باسم خيمة رفادة وهي أول مستشفى متنقل في التاريخ ثم تطورت بعد ذلك بتطور كيان الدولة حتى صارت تصحب الملوك والأمراء برحلات الحج .

(٢) ذكره د/ راغب السرجاني في كتابه " كيف تصبح عالماً " ووضح أن الليلتين أولهما يوم عرسه ، والثانية يوم وفاة والده.

(٣) خُزل: أى كسر ظهره .

(٤) النخيزة: الطبيعة . يقال هو كريم النخيزة .

مقتصر على طبقة دون أخرى لكنهم تنافسوا في استغلاله وصنع نصر الأمة . يقول الخليل بن أحمد: " أثقل الساعات على ساعة أكل فيها " (١) فقد بدأ موسى بن نصير فتح الأندلس عن عمر ٧٢ عاماً وأتم الفتح عن عمر ٧٥ عاماً وكان يموج به الطموح إلى أبعد من ذلك حتى أن كبر السن ما استطاع هزيمته فراح يعلن عن نيته في فتح القسطنطينية لتنطبق عليه بشرى النبي (٢). والعجيب أن الأمر إذا سار كما خطط لأسقط فرنسا وألمانيا وبلجيكا والنمسا والمجر وبلغاريا وألبانيا ويوغسلافيا وبولندا. لكن يبقى السؤال كيف زاغ (٣) ذهن هذا الرجل العجوز الذي يكافح لأجل البقاء في الحياة إلى الكفاح في ساحة القتال ثم الكفاح لإسقاط أوروبا كلها تحت راية التوحيد.

إنهم كانوا بشر غير البشر، وقوم خلاف القوم، وأمة مختلفة الحال عن تلك الأمة التي لم تترك جذورها شئ من العزة لتتغذى منه فروعنا . أنهم قوم كانت تفرلعزيمتهم التباريح (٤). وتفل من قوتهم صفحات التاريخ

(١) أبو هلال العسكري في كتابه " الحث على طلب العلم والاجتهاد " ص ٨٧ .

(٢) ذكرت الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ١٨١٨٩، وكذلك الحاكم في المستدرک

حديث رقم ٨٣٠٠ عن بشر الغنوي قال : سمعت رسول الله ﷺ لتفتحن

القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش.

(٣) زاغ: مال . يقال: زاغ ذهنه أى مال به ذهنه إلى شئ ما.

(٤) التباريح: الشدائد.

فيشكلونها كيفما يحبوا وكيفما شاءوا . فالإيمان عندما يندمج مع اليقين يشكل من صاحبه بنيان لا ينكسر، وحال لا يتغير ولو أثقل صاحبه بجبل كجبل أحد .

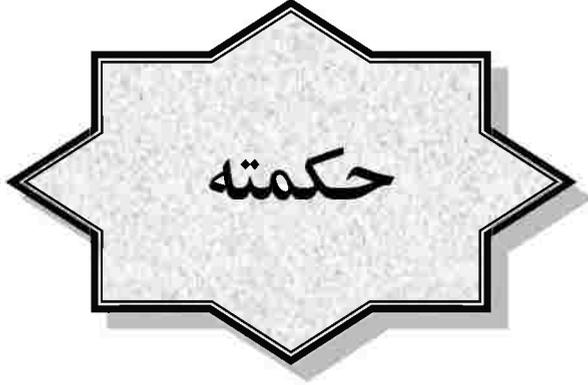
" فإن زيد بن ثابت رضي الله عنه جمع القرآن في مهمة كانت عليه أثقل من جبل أحد" فما الذي جعل هذا الشاب الذي لم يبلغ من العمر ٢٣ عاماً^(١) أن يتحمل مثل هذه المهمة ويتجرع كل ألوان العذاب لإتمامها . فالدافع عندما يشتد عوده ويتصلب ظهره يحرم على صاحبه الإنكسار ويجبره على رفع رأسه. فقد قاتل يوسف بن تاشفين . في الأندلس ضد الصليبيين عن عمر ٧٩ عاماً . فالإسلام عندما يضم الفتى بين كنفه ويحتضنه بين جوانحه يصنع منه رجلاً، وإذا ما ازداد إيماناً وتحلى باليقين صار رجلاً فوق الرجال. ورجلاً من قليل الرجال، ورجلاً يتقدم الرجال. فطلب العلم وحده دون إضافة هذا الشرط لا يكفي. وتوافر هذا الشرط مع عدم توافر الدافع القوي في طلب العلم لا يكفي وتوافر الشرطين مع عدم توافر الحب لا يكفي ومن دراسة ما سبق يمكن القول إن خلاصة هذا الباب إنه إذا ما أردت العلم فعليك أن تزهد في كل شئ وتطلبه بكل شئ ، وأن تبعد عن كل ما يبعدك عنه وتتقرب من كل ما يقربك منه، وأن تجعله شغلك الشاغل ولأجله تترك المشاغل.

(١) ابن سعد في كتابه " تهذيب طبقات الصحابة" ص ٣٥٩، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

■ عظمة أبوهريرة

فعندما سُئل الشافعي: كيف طلبك للعلم؟ قال: " كطلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره"^(١). فالعلم كالزوجة البارة التي تلازمك طول حياتك فكلما أحببتها أحببتك، وكلما حفظتها أعطتك، وهي لا تتحمل أن ينازعها شئ في قلب زوجها إذ تريده لها وحدها، وكلما ازدادت علمها غيره ازدادت عليك تدلاً. فهكذا العلم إذ يسكن القلب يطرد كل شئ سواه، وكلما أحببته وحفظته أحبك وحفظك.

(١) ابن حجر العسقلاني في كتابه: الإمام الشافعي ص ١٠٥.



الحكمة هي ذلك الحاكم الذي يحكم بلا سلطان، ويجبر الآخرين على سماع رأيه دون أن يبسط سلطته عليهم، ويبسط سلطته على الآخرين دون أن تكون له يد القبضة. ويمكن بمفهوم آخر تعريف الحكيم بأنه ذلك الشخص الذي يجبر الآخرين على احترامه، وينقدهم بسداد رأيه وحسن قوله، فلولا الرأي الصائب لأم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية لأهلك المسلمون أنفسهم بمخالفتهم لرأى النبي صلى الله عليه وسلم (١).

فبالحكمة أنقذ سيدنا الحسن رضي الله عنه رقاب المسلمين من ظبا (٢) سيوفهم، وأعتق أجسادهم من لهزم (٣) الحسام، فأعمدت السيوف في جفنها (٤) وغض الساعد عن مقبض السيف، فالتحمت جراح الأمة وعادت شابة تركض فلا يجارها عداء، وتبطش فلا يمنعها مانع، فعبر شبابها الأندلس، ووطئت خيولهم أفريقية، وأعلنت سيوفهم أنه لا صوت

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٤/٥٤٤ عن الزهري قال: " لما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا فأنحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم احد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحرو وتدعوا حالقك فيحلقك" فلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا ذلك قاموا فأنحروا.

(٢) ظبا السيف : طرف السيف

(٣) لهزم الحسام: الجزء الحاد من السيف. يقال سيف لهزم : أى قاطع.

(٤) جفن السيف : أى موضع غمده.

■ عظمة أبوهريرة

يعلو فوق صوتها في ساحة القتال، فكانوا للعالم رعب في مشارق الأرض تنتفض منه مغاربهها، فاتسعت بقاعها وتقلصت بقع أعداءها، فمدت أرض المسلمين؛ وتمدت (١) أرض أندادهم فكان صوتهم يدوي في الشرق لترتعد منه بلاد هرقل في الغرب، فيوقظهم من غفلة، ويأرقهم من سكون، ويضايقهم من دعة فما نست عيونهم شرفات كسرى وهى تتهاوى، وما تناست أذنهم أنباء هزيمة رستم التي تطايرت إلى الأرض لتعلن أن المسلمين هم القوة الأولى والعظمى في العالم. وبقلة الحكمة أضاع يزيدجر ملكه فأصر على مواجهة جيش المسلمين بجيش موحد من الفرس مخالف لرأى: رستم. أميره في معركة القادسية، ومتغاضياً عن رأيه حين نصحه فقال: إن هذا ليس برأى في الحرب، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة، فأبى: يزيدجر إلا ذلك (٢).

فيزدجر. جمع الفرس ووحدهم، وكذلك سيدنا الحسن رضي الله عنه جمع المسلمين ووحدهم، ولكن شتان ما بين الجماعة هنا والجماعة هناك. فالجماعة التي أصر يزيدجر على هيكلتها متغاضياً رأى قائده واضعاً النصائح دُبر أذنه افتقدت في بناءها إلى الحكمة؛ فاسقطت تلك الإمبراطورية صاحبة التاريخ الطويل سطورها، العظيم بعدد صفحاته،

(١) تمدت: الأرض أى قل ماؤها. والمقصود هنا: أى تقلصت

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٣٤ الجزء السابع.

المديد في كتاباته. فقد كانت نظرته إلى الحرب وإلى الأسباب التي أدت إلى انتصار المسلمين نظرة عدد وعدة؛ فقدم الظاهر على الجوهر، والمنظر الخارجي على التركيب الداخلي.

فبدلاً من أن ينظر إلى ملكه الذي كان يأكل بعضه بعض، وإلى قوة المسلمين التي كانت تلتحم جزءاً بجزء لكنه نظر إلى ظاهر الأمر وهو العدد. ولو نطس^(١) في التفكير لأدرك أنه في جميع معاركهم مع المسلمين كانوا الأكثر عدداً؛ وبذلك تكون العبرة ليس في العدد لكن غره انتصار معركة الجسر^(٢) فأقدم بكامل قوته فكانت الهزيمة التي خزلت^(٣) ظهرهم، وكسرت أعناقهم، وزلمت^(٤) أنفهم. أما سيدنا الحسن عليه السلام فقد كان حصيماً ولد في بيت النبوة وترى في مدرسة الزهد فقد نظر إلى الأمر من الجانبين سواء كان الظاهر أو الجوهر.

ففي ظاهر الأمر هو سيد شباب أهل الجنة، وابن السيدة فاطمة الزهراء، وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وابن الإمام علي عليه السلام رابع الخلفاء الراشدين

(١) نطس: في التفكير أي دقق فيه

(٢) معركة الجسر هي معركة خاضها المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن مسعود الثقفي ضد الفرس، وهي المعركة الوحيدة التي انتصر فيها الفرس بقيادة: جاذويه .

(٣) خزلت: كسرت

(٤) زلمت: أنفهم أي قطعها ، كناية عن كسر النفس المتكبرة .

الذى كان من أهل الشورى^(١) عكس معاوية الذى بايعه أهل الشام فقط في حين كونهم ليس بأهل الحل والعقد. إضافة إلى ان معاوية كان قد أسلم يوم صلح الحديبية^(٢) كما أن فئة معاوية لم تكن على الحق ، وكل هذا يوضع في جانب واحد.

أما الجانب الآخر هو أن قوة سيدنا الحسن عليه السلام كانت أقوى وأعظم وأكثر من قوة معاوية.

ووصف سيدنا الحسن هذا الامر بقوله:

" قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت، فتركها وجه الله وحقن دماء أمة محمد عليه السلام " (٣)

ولكن هذا كان ظاهر الأمر أما جوهره أنه لو تقاطلت الفتتان لأهلك المسلمون بعضهم البعض، ولفتكت قواهم بقواهم، ولحققتهم قوة

(١) أهل الشورى : هم الستة من الصحابة الذين وكل إليهم عمر بن الخطاب عليه السلام الأمر لاختيار خليفة منهم وهم: عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب، سعد بن أبى وقاص، طلحة بن عبيد الله ، عبد الرحمن بن عوف، الزبير بن العوام عليهم السلام.

(٢) ابن سعد في كتابه " تهذيب طبقات الصحابة " ص ٣٧٧ ، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة. لكن بعض العلماء رجح أن إسلام معاوية كان في فتح مكة مستدلين بكلام على بن أبى طالب عليه السلام: لا المهاجر كالطليق كما ورد في نهج البلاغة" ص ٢٨٢ الجزء الثالث، مكتبة مصر بشرح الإمام محمد عبده.

(٣) ذكره جلال الدين السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء " فصل خلافة الحسن بن على عليه السلام.

التفكك، ولاندثرت الدعوة التي قاتل في سبيلها جده النبي العرب والعجم لكنه بحكم حكمته قدم جوهر الأمر وباطنه على ظاهره؛ فاستحق أن يذكر موقفه في التاريخ بأنه قدم مصلحة الأمة على كل شيء، وأستحق أن يكافئه الله بجعل المهدي المنتظر من نسله وهو الذي سيحكم مشارق الأرض ومغاربها (١)

(١) روى الحاكم في المستدرک حديث رقم ٨٧٨٧ من حديث أبي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ قال: " يخرج من أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعا أو ثمانا - يعني حججاً، وروى أبو داود في سننه حديث رقم ٤٢٨٢ عن عبد الله بن مسعود ؓ أن النبي ﷺ قال: " لا نتقضى الدينا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسمي أبي .

ويمكن تلخيص ما سبق في تلك السطور .. " القوة بلا عقل تدمير، والعقل بلا قوة مجرد خطط على ورق، والعقل يولد حكمة تنم عن حسن تصرف، وتفادي التبايح في غير موضعه إحجام ينم عن خوف وجبن".

أما العقل المنضبط بالحكمة والمحاط بجمال التصرف يجبر صاحبه على حسن القول المنضبط بالحكمة، والمحاط بجمال يجبر صاحبه على الإحسان في أوقات اللين، والحزم في لحظات التزعزع^(١) وقطع الشك عن اليقين عند ظهور البلبلة فيكون لصاحبه نور بين جدران الظلمات، وهداية بين حبال الضلالة.

فمجتمع الصحابة ما خلى قط من الحكمة، ولم تتركهم الحكمة أبداً، فقد كانوا يتنافحون فيما بينهم لاقتناص العلم، ويتشاجرون في نيل الفضل، والعلم بطبعه ينمي العقل بكل شئ بما فيها الحكمة.

فالصحابة كانوا أشبه بجزئيات تدور حول النواة، فقد كان النبي محور الأحداث التي يستمدون منها ما يفتقدونه في أنفسهم، فهم بشر وجب عليهم أن يتعلموا من خير خلق الله وسيد البشر. وبناء على ذلك ما خلى كبار الصحابة أو كل من كان له في رسول الله ﷺ قرب في الجلوس والخلق من الحكمة. وسنكتفى بعرض بعض من مواقف الخلفاء الخمسة

(١) التزعزع: الشك.

وسيدنا الحسين عليه السلام كنموذج يعبر عن حال الصحابة والتي تجلت حكمتهم واضحة بعدما غاب عنهم المصطفى عليه السلام ومن ذلك:-

إنه عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اضطرب حال المسلمين ومرقت نظرات الحيرة بعضهم البعض، فقال عمر رضي الله عنه بعد أن توعد من قال مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقتل والقطع:- "إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غشية لو قد قام قتل وقطع" (١)

وكذلك قال للمغيرة بن شعبة بعد أن قال له:- مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:- "كذبت بل أنت رجل تحوسك فتنة إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين" (٢) فلما سمع أبو بكر بالخبر جاء مسرعاً من مسكنه بالسبح، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتميم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغش بثوب حبرة ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال:
" بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله لا يجمع الله عليك موتين أبداً
أما الموتة التي كتبت عليك فقد متهأ" (٣).

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٥٧ الجزء الخامس، وكذلك البيهقي في الدلائل ٢١٧-٢١٩/٧.

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٥٦ الجزء الخامس، وكذلك البيهقي في الدلائل ٢١٣-٢١٥/٧.

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٥٧ الجزء الخامس، وكذلك البيهقي في الدلائل ٢١٥-٢١٦/٧.

فخرج أبو بكر وعمر يتكلم فوقف فيهم خطيباً فقال:-
 " اجلس يا عمر وهو ماض في كلامه وفي ثورة غاضبة فقام أبو بكر
 خطيباً بعد ان حمد الله وأثنى عليه فقال:
 " أما بعد ... فإن من كان يعبد محمد فإن محمداً قد مات، ومن كان
 يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
 انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ
 الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] (١)

فلولا أبا بكر صديق لكان حكيم، ولولا أن الحكمة نعمة لا يقدرها إلا
 أهلها لقلنا: أحكم الحكماء. فنحن لا نعلم أمة فقدت رسولها وانقطع عنها
 الانبياء ونهضت كاملة البناء كأنها لم تخذش كأمة الإسلام وما نعلم رجل
 استخلفه قومه بعد نبي وغلب الظروف وقهر التحديات كأبي بكر. ومن
 حكمته ﷺ أيضاً أنه لما سأل عبد الرحمن بن عوف عن استخلافه لعمر
 بن الخطاب قال له:- " إنه أفضل من رأيك فيه ولكن فيه غلظة" (٢).
 فقال أبو بكر: "وهو كذلك لأنه يراني رقيقاً ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٥٧ الجزء الخامس، وكذلك ابن سعد في كتابه
 تهذيب طبقات الصحابة.

(٢) ابن الأثير في كتابه أسد الغابة ص ١٤٢ الجزء الرابع.

مما هو فيه" (١) فعبد الرحمن بن عوف نطق لسانه بما ترى عينه فأصدر حكمه بعين المشاهد الذي قد تخدعه المظاهر كما يخدع السراب العين أما الصديق فأصدر حكمه بمعرفة سابقة بصديقه فأحسن التقدير، وأصابت حكمته حسن قراءة المستقبل، وعليه يمكن تعريف الحكمة بأنها تلك الدرجة التي حينما يبلغها العقل قرأ الواقع وتوقع المستقبل وتجنب أخطاء الماضي. فالعاقل في الثبات عند المصائب وحسن التفكير في أوقات طياش العقول يفعل ما يقدم الأحمق على فعله بعد شهر أو سنوات من نفس اللحظة، فكلُّ قدر عقله، وكلُّ حسب تفاوت درجة الحماسة.

فكان ﷺ قدوة في تصرفاته منذ توليه قيادة تلك الأمة الناشئة التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى تجديد شبابها ثم اختيار الخليفة بعده الذي قوى ساعدها؛ لتبسط قبضتها على العالم في وقت وجيز (٢) ، ولم

(١) ابن جرير الطبري في تاريخه ٣/١٥٢، وكذلك ابن الأثير في كتابه الكامل.

(٢) أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤٧٣ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:- أفرس الناس ثلاثة : صاحبة موسى التي قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وصاحب يوسف حيث قال: " أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وأبو بكر حيث استخلف عمر" ، وكذلك رواه الحاكم النسابوري في المستدرک حديث رقم ٣٣٧٣ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين قال لأمراته أكرمي مثواه = عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، والتي قالت يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وأبو بكر حين تفرس عمر ﷺ.

■ عظمة أبو هريرة

تقتصر حكمته على اختيار فقط لكنها ظلت أسيرة عظمته لتنتقل عند كل تصرف، وكل كلمة لكن سنأخذ منها مقتطفات فقط.

قال أبو بكر لخالد بن الوليد:-

" أقل الكلام فإنما لك ما وعى منك "

وكان يقول لخالد أيضاً:

" أحرص على الموت توهب لك الحياة "

فلسانه ﷺ لم ينفذ من الحكمة. فكيف بعقله؟

وكلماته كانت لا تخرج أبداً من مفهوم الجمال والرق. فكيف

بشخصه؟

وإذا كان هذا من عظيم عظمة أبي بكر. فكيف برسول الله ﷺ ؟

وروى أيضاً عنه أنه قال لرجل: أتبيع هذا الثوب؟

فأجابه " لا عافاك الله!

فقال له أبو بكر: هلا قلت لا وعافاك الله

ومن أعظم ما قال ﷺ أيضاً ما قيل في نصحه ليزيد بن أبي سفيان

في تعامله مع الرعية:-

" إذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً "

وبهذا القدر ننتقل من حكمة الصديق إلى حكمة عمر ﷺ .

قال عمر بن الخطاب:-

" لما خرج معاذ بن جبل إلى الشام أخل خروجه بالمدينة وأهلها في

الفقه وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبس

لحاجة الناس إليه، فأبى على . وقال:- رجل أراد جهاداً يريد الشهادة فلا أحبسه".

فقلت :- والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه .
فمن جمال لسان أبي بكر أنه قال تلك الجملة، ومن حسن تصديقه أنه قدم حاجة الفرد ممزوجة بغاية الطاعة لربه والتقرب إليه على حاجة الناس.

ومن حكمته أيضاً أنه لم يخلق سنة لأجل مصلحة، أما عمر رضي الله عنه
فمن حكمته أنه خلق سنة ليحقق مصلحة.

ولكن يبقى السؤال: كيف يمكن لوجهتان مختلفتان يؤديان إلى
طريقتين مختلفين أن يجتمعا في مدينة الحكمة؟

كحسابات ورقية يستحيل حدوث هذا لكن واقعياً تقع، فمن حكم
الله في خلقه أنه أوجد للكون نواميس، وللأمور معضلات، وللحياة أمورها
الغريبة، وللشخصيات في قراءة الشخصيات صواب وخطأ وانخداع،
فهمهذه الطريقة جعلت لكل خطة خريطة، ولكل خريطة ورقة، ولكل ورقة
خامة؛ فتعددت الأساليب، وكثرت الطرق التي تكتب بها تلك الأساليب.

فرأى أبو بكر أنه ما كان له أن يمنع شخصاً يريد الشهادة أن
يغتنمها فقدم مصلحة الشخص الخاصة على المصلحة العامة مغلباً
جانب الحكمة على تصرفه ومستنداً على الحالة الإيمانية التي كانت
تستظل بها الأمة . أما رأى عمر رضي الله عنه فجاء مقدماً المصلحة العامة على
مصلحته الخاصة مغلباً جانب الشدة بهدف ترسيخ العلم، وتوفير المرجع

عظمة أبو هريرة

الذي ترجع إليه الناس عند الحاجة وكلاهما مزين بحسن التصويب منزه عن الخطأ.

وكمثال آخر لتلك الطريق التي تختلف في وجهتها لكنها تجتمع في مدينة الحكمة تلك التي حدثت مع عبد الله وعبد الله، فالأول هو ابن أبي بكر والثاني هو ابن عمر، فالأول تزوج عاتكة بنت زيد. فلما شغفه حمها وعطله عن الجهاد ثم ازداد حتى عطله عن التجارة فأصاب تفريط في أمور الدين والدنيا فأجبره أبو بكر رضي الله عنه على تطليقها فطلقها. فلما رأى أبو بكر أن شغفه بها يزداد وحبها لها قد فجع عن جوانح صدره فسمعه ينشد:

أعاتيك لا أنساك ما ذر شارق	وما ناح قمري الحمام المطوق
أعاتيك ، قلبى كل يوم وليلة	إليك بما تخفي النفوس معلق
ولم أرمثلي طلق اليوم مثلها	ولا مثلها في غير جرم تطلق
لما خلق جزل، ورأى ومنصب	وخلق سوى في الحياء ومصداق

فعندما تطايرت كلمات الشعر من لسانه تشكى حتى تبكي فأمره بإعادتها (١)

أما عمر رضي الله عنه فلم يجد من ابنه: عبد الله ... تثاقل في جهاد أو تخلف عن ما يقربه إلى ربه أو تناسى صلاة، إنما كل ما وجده حب زائد من ابنه:

(١) ابن الأثير في كتابه أسد الغابة ص ١٧٣ الجزء السابع ، المكتبة التوفيقية.

عبد الله بن عمر لزوجته. فخاف الحب أن يقوده إلى التكاسل فطلب منه أن يطلقها (١).

ورغم غرابة فعل عمر رضي الله عنه في التعامل مع مفهوم الحب بين الزوج وزوجته نقيض فهمه الذي بلغ الرقي حيث قال لسعد بن أبي وقاص :-
"من محبة الناس فلا تزهد في التحب فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله إذا أحب عبداً حبه وإذا أبغض عبداً بغضه، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس" (٢)

وجاءه رجل يريد تطليق أمراته فقال له عمر:-

" لم تطلقها؟

قال:- لا أحبها،

قال عمر رضي الله عنه:-

أوكل البيوت بنيت على الحب؟ فأين الرعاية والتدبم.

فما بين الفعل هنا والقول هناك يبقى الأمر يحمل التناقض في ظاهره لكنه ينظر إلى المصلحة العامة في المرتبة الأولى.

(١) ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء" ص ١١٧ عن النخعي أن رجلاً

قال لعمر: ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟ فقال:- قاتلك الله، والله ما أردت الله

بهذا أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق أمراته؟

(٢) ابن كثير في كتاب البداية والنهاية ، المجلد الرابع ص ٣٣، الجزء السابع.

وكان يقول للمسلمين:

"إنني بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه أحد" (١)

ومن أعجب الرسائل في وصف شئ يمكن وصفه تلك الرسالة التي أرسلها عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص. يطلب فيها منه وصف البحر، فحكمة عمر رضي الله عنه حجته على إرسال الجيش لمجرد طلب معاوية رضي الله عنه منه ذلك عابراً بها البحر لفتح قبرص فتفاجئنا بهذا الوصف. يقول عمرو بن العاص:

"إنى رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركد خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة، وهم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا فرق" (٢).

فلا يوجد على مدار التاريخ وصف دقيق للبحر كهذا الوصف وتشبيه كهذا التشبيه.

ولعل من أعظم حكم: عمر رضي الله عنه. التي بنيت له حسن فراسة وجمال توقع حيث أن عبد الرحمن بن عوف لام عمر رضي الله عنه على دعوته ل: عبد الله بن عباس لحضور المجالس معهم لصغر سنه . فجرضها (٣) عمر رضي الله عنه في نفسه ثم استغل حضورهم بالكامل فسألهم عن تفسير سورة " النصر "

(١) ابن كثير في كتاب البداية والنهاية ، المجلد الرابع ص ٣٣ ، الجزء السابع.

(٢) السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٢٥ ، دار الفجر للتراث .

(٣) جَرِضَ: ابتلع ريقه من الغيظ . كناية عن كتم غيظه.

وبعد أن أخرجوا ما عندهم سأل ابن عباس فأصاب حينما أخطأ الجميع
(١).

وإذا ما تركنا فراسة عمر إلى خليفته عثمان الذي قدر له الله أن
يكون صاحب السبق في جمعه للناس على المصحف وصره على الخوارج
حتى قتلوه، حاصروه فما ضعف، وتجرأوا عليه فما ترك حياءه، منعوه
إمامة المسلمين في الصلاة فقال:- " إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهداً فأنا
صابر عليه". (٢)

(١) روى البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٩٧٠ ص ٦١٠ عن ابن عباس قال:-
" كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا
ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر:- إنه من قد علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رثيت
أنه قد دعاني يومئذ إلا ليربهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ
وَالْفَتْحُ ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت
بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول؟
قلت:- هو أجل رسول الله (ﷺ) أعلمه له قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وذلك علامة
أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ﴿ فقال عمر: ما أعلم منها إلا
ما تقول.

(٢) ذكره السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء " ص ١٢٣.

عظمة أبو هريرة

والعهد الذي يقصده عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:- " يا عثمان " إنه لعل الله يقمصك قميصاً، فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني" (١).

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يجحد حق عثمان إلا منافق؛ وجزاه الله خيراً عن صبره على نفسه حتى قتل. أخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:- " مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة، فقال:- شهيد يقتله قومه، إنا نستحي منه" فلو ضعف عثمان في الفتنة وخلع نفسه؛ لأصبح خلع الناس لحكامهم أسهل من خلع المرأة لزوجها، وإطلاق الرجال لراية العصيان في وجه قائدهم أسهل من طلاق الرجل لزوجته.

يقول عبد الرحمن بن مهدى:

" خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر: صبره على نفسه حتى قتل، وجمعه الناس على المصحف" (٢).

وإذا ما اكتفينا بهذا الجزء الضحل لنعبر به عن مقدار وقدر حكمة الصديق والمُلمهم والخليفة الذي تستحي منه الملائكة إلى حكمة الإمام الذي كان عمر يقول فيه:

(١) ذكره السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء" ص ١٢٣.

(٢) ذكره السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء" ص ١٣١.

أعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن (١)

فهو ابن عم رسول الله (ﷺ) وزوج ابنته وهو الذي اصطفاه الله لينال ويصيب شرف وفضل النشأة في بيت النبوة، فإذا ما كنا ذكرنا حكمة أبي بكر وعمر وعثمان، كونهم نالوا الحكمة بحكم قرينهم من رسول الله . فكيف بمن تربى في بيت رسول الله ﷺ؟

كنا قد ذكرنا أن النبي كان النواة التي يدور حولها الصحابة فيصيبون من أخلاقه ويوصفون بصفاته فتساوى حركتهم الإلكترونية مع بروتونات المصطفى المجهزة ريانياً والمعدة من قبل الله سبحانه وتعالى ونذكر مثال من الأمثلة التي توضح حكمة الإمام على :

فعندما خطب النبي ﷺ في أصحابه قائلاً:

" إن الأنصار كرشي وعيبي وإن الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم " (٢).

ثم ما تبع موت النبي من تبعات في أمر الخلافة، واختيار الخليفة، ثم ما حدث في سقيفة بني ساعدة . فبلغ الخبر الإمام على فقال لهم ... " فهلاً أحتجيتم عليهم بأن رسول الله ﷺ وصى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم؟" .

(١) ذكره السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء " ص ١٣٧ .

(٢) مسلم في صحيحه ص ٩١٦ حديث رقم ٢٥١٠ كتاب فضائل الصحابة.

فنظر الصحابة بعضهم إلى بعض تنتابهم الدهشة عن ما بها من حجة. فقال الإمام علي: " لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم " (١) فأى عقل هذا الذي يخرج المضمون من بين خفايا النصوص وأى عقل هذا الذي شكل هذه الحكمة . ومن هذا السياق يمكن القول : " إن العلم هو العامل الذي يعمل بكل العوامل المعمول بها على تطوير العقل، وترقيته من درجة إلى أخرى؛ حتى يرقى به في التفكير والتصور، والتدبر إلى أسى المعانى" وبطبيعة الحال الحكمة هي أحداها ما لم تكن أسماها، فلولا علم وفقه أبي بكر لما كان أحكم الصحابة فهماً عند نزول (سورة النصر) .

ولولا حكمة عمر رضي الله عنه التي سئمت به إلى درجة الإلهام لما وافق ربه في أسرى بدر وآية الحجاب، واتخاذ مقام إبراهيم مصلى، والصلاة على المنافقين وغيرها.

وننتقل من حكمة الخلفاء إلى بعض من حكم آل بيت النبي: اغتسل الحسن رضي الله عنه وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له في الطريق شخص من محايج اليهود وعليه مسح من جلود، قد أنهكته العلة، وركبته القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه فاستوقف الحسن رضي الله عنه، وقال: يا ابن رسول الله، سؤال:

(١) نهج البلاغة ص ٨٠ ، شرح الإمام محمد عبده الجزء الأول ، مكتبة مصر.

قال : ماهو؟

قال: جدك يقول " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" (١) وأنت مؤمن وأنا كافر. فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها، وما أراها إلا سجناً على قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها،

فلما سمع الحسن كلامه قال له:

يا هذا لو نظرت إلى ما أعدده الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن، ولو نظرت إلى ما أعدده الله لك في الآخرة من العذاب لرأيت أنك في جنة واسعة (٢).

ومن هذا السياق يمكن تعريف الحكيم: بأنه ذاك الشخص الذي يحكم تصرفاته بعقله فقلما يخطأ، ونادراً ما يسقط، ويصعب عليك أن تلحظ عليه ذلة في القول أو خطأ في الإجابة، فما سمى العقل بهذا الاسم إلا لمنعه صاحبه عن المحذور أو المنكر (٣).

وقد روى أن الحسن والحسين رأيا أعرابياً يخفف الوضوء والصلاة فلم يشاء أن يجماه بغلظه وقال له : " نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون

(١) مسلم في صحيحه ص ١٠٦٥ حديث رقم ٢٩٥٦، مكتبة فياض للنشر والتوزيع. وكذلك

الترمذى في سننه حديث ٢٣٢٤

(٢) محمد رشيد رضا في كتابه " الحسن والحسين " ص ٣٢.

(٣) العقل مشتق من مادة " عقل " التي يؤخذ منها العقل.

أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا، فنتوضأ ونصلي عندك، فإن كان عندنا قصور تعلمنا"، فتنبه الشيخ إلى غلظه دون أن يأنف من تنبيههما إليه (١). وكان هذا من حكمة الحسن والحسين حيث علموا الشيخ ما أراد أن يتعلمه دون أن يشعر بما يحتاج إلى تعلمه ومن مثل هذه الأمور تعلم أبو هريرة، روى عن سليمان مولى عثمان بن عفان ، قال:

" جاءنا أبو هريرة، عشية الخميس ليلة الجمعة، فقال: أخرج علي كل قاطع رحم لما قام من عندنا. فلم يقم أحد. حتى قال ثلاثاً فأتى فتى عمه له قد صرهما منذ سنتين فدخل عليهما. فقالت له: (يا ابن أخي ما جاء بك؟ قال: سمعت أبا هريرة يقول كذا وكذا..

قالت: ارجع إليه فسله لم قال ذلك؟

قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

" إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم". (٢)

وعليه يمكن القول: إن الحكمة تستمد من كثرة التجارب، ولعل هذا التعريف يفسر سبب اقتران مفهوم الحكمة بمفهوم كبر السن وطول

(١) د/ محمد راتب النابلسي في كتابه "ومضات في الإسلام" الباب الثامن الفقرة

(من ١٩ : ٤٤) الأدب في الدعوى إلى الله. وكذلك ذكر عبد الحلیم الجندي في كتابه

أبو حنيفة " بطل الحرية والتسامح " ص ٣٩، دار المعارف ، الطبعة الثالثة.

(٢) البخاري في كتابه الأدب المفرد ص ٢٥ حديث رقم ٦٠ .

العمر. ولكن يبقى السؤال: ما الفرق بين الحكمة والدهاء؟ على الرغم أن الفرق بين تعريف الكلمتين كبير جدا إلا أن التمييز بينهما دقيق للغاية. ويتجلى واضحا في تلك القصة:-

" كان يزيد يحب زينب بنت اسحاق ويهاها هوى أدنفه^(١) وسبب له المرض، وكانت زينب أشهر فتيات عصرها بالجمال، وقد كانت متزوجة من والي العراق من قبل معاوية: عبد الله بن سلام. فلما اشتد مرض يزيد في هواها فضح أمره بعض فتیان قصره حتى علم معاوية بالخبر فأرسل في طلب: عبد الله بن سلام . واجتمع إليه أبا الدرداء وأبا هريرة وقالا لهما:

" إن له ابنة يريد زواجها ولم يرض لها حليلاً غير ابن سلام؛ لدينه وفضله وشرفه ورغبة معاوية في تكريمه وتقريبه" . فخضع عبد الله بن سلام بما بلغه من رغبة معاوية تزويجه ابنته، فوكل معاوية الأمر لأبي هريرة ليبلغها ويستمتع جوابها، فكان جوابها المتفق عليه بينها وبين أبيها: -

" أنها لا تكره ما اختاروه ولكنها تخشى الضر وتشفق أن يسوقها إلى ما يغضب الله" فطلق ابن سلام زوجته واستنجد معاوية وعده. فإذا بمعاوية يقول بلسان ابنته: " إنها توجس من رجل يطلق زوجته وهي ابنة عمه وأجمل نساء عصره".

فسمع سيدنا: الحسين بن علي عليه السلام بهذه المكيدة فسأل أبا هريرة أن يذكره عندها فصعد لأمره وقال لزينب: " إنك لا تعدمين طلاباً خيراً من

(١) أدنفه: أشد مرضه.

عظمة أبو هريرة

عبد الله بن سلام"، قالت: من؟ قال: يزيد بن معاوية والحسين بن علي، وهما معروفان لديك بأحسن ما تتبغيه في الرجال، فاستشارته في اختيار أيهما، فقال أبو هريرة: (لا أختار فم أحدٍ على فمٍ قبله رسول الله ﷺ ، تضعين شفتيك في موضع شفتيه).

فقالت: " لا أختار على الحسين أحداً، وهو ربحانة النبي، وسيد شباب أهل الجنة" فاخترته ثم أعادها الحسين إلى زوجها^(١) ، ولما بلغ معاوية فعل أبي هريرة قال: " من يرسل ذا بلاهة وعى يركب من أمره خلاف ما يهوى ولقد كنا بالملامة منه أولى حين بعثناه " ..
هذه القصة تشمل شقين:-

فأولاً: ترد على شبهة أن أبا هريرة صنيعة الأمويين إذ فضل وزكي الحسين بن علي ﷺ على يزيد مع علمه بالعداء بينهما .
ثانياً: في مضمون هذه القصة يمكن التفريق بين الحكمة والدهاء فالطريقة التي أدار بها معاوية عجلة الأحداث لا تنبع إلا من ماكر . أما الحسين بن علي ﷺ أحبب مخططهم ببساطة دون تصادم أو إحداث شق بينهما. وهذه هي الحكمة بعينها .وعليه يمكن القول أن المكر والدهاء لطالبي الدنيا إذ يصلون إلى ما يحبون بشتى السبل خصوصاً إذا ما كان دهاة العرب بالترتيب هم: المغيرة بن شعبة وزياذ ابن أبيه وعمرو بن

(١) ذكره عبد الحلیم الجندي في كتابه : أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام .
لكنه ذكر أن اسمها: أرنب بنت إسحق. ص ٨٢ ، .

العاص^(١) وجميعهم كانوا في كفة واحدة في مواجهة: علي بن أبي طالب. ثم الحسن رضي الله عنه بعده، وهما بيت الحكمة. وإذا ما قلنا أن الصراع بين: علي ومعاوية رضي الله عنهما كان صراع بين الدولة الدينية والدولة الدنيوية كما شبهه العقاد^(٢).

(١) ابن الأثير في كتابه "أسد الغابة" ص ٢٢٤ الجزء الخامس إن الشعبي قال:- "دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزيد بن أبيه".

(٢) فقد رُوِيَ أن عمرو بن العاص في الفتنة بين علي ومعاوية تردد في شد الرحال وحط الرحال؛ فقال له غلامه وردان (كان وردان من الموصوفين بالدهاء أيضاً) :- أما إنك إن شئت بدأتك في نفسك :- اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت:- مع علي الآخرة بلا دنيا ، ومع معاوية الدنيا بلا آخرة ، فأنت واقف بينهما . فقال عمرو:- ما أخطأت ما في نفسي، فما ترى ياوردان؟ فقال:- أرى أن تقيم في منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك، فقال عمرو:- الآن حين شهرتني العرب بمسيرتي إلى معاوية؟ كذلك روى ابن الأثير في أسد الغابة ص ٥٧ الجزء الرابع :- إن عقيل بن أبي طالب ترك أخاه وسار إلى حزب معاوية، فقال له معاوية يوماً.. " هذا أبو يزيد لولا علمه بأني خير له من أخيه، لما أقام عندنا" فقال عقيل:- " أخي خير لي في ديني، وأنت خير لي في دنياي، وقد أثرت دنياي، وأسأل الله خاتمة خير بمنه".

وروى أن عمرو بن العاص قال لمعاوية:- أترى أننا خالفنا علياً لفضل منا عليه؟ ... لا والله إن هي إلا الدنيا تتكالب عليها، وأيم الله لتقطعن لي قطعة من دنياك وإلا نابذتك".

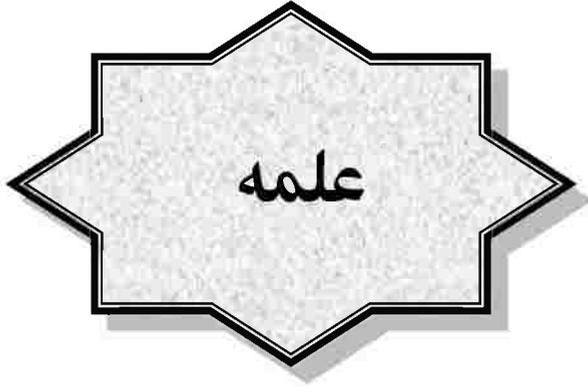
■ عظمة أبو هريرة

ويمكن القول أن الحكمة تنبع من طالبي الدين، والمكر والدهاء ينبع من طالبي الدنيا، وهذا يفسر قول قيس بن سعد بن عبادة " لولا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول " المكر والخديعة في النار لكنت من أمكر هذه الأمة (١) ".

وكذلك روى البخاري في كتابه الأدب المفرد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :- " المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم (٢) .

(١) الحاكم في المستدرک حديث رقم ٨٨٣١، ذكر ابن الأثير في كتابه "أسد الغابة".

(٢) البخاري في كتابه الأدب المفرد ص ١٠٦ حديث رقم ١٩٧.



وتن (١) أبو هريرة بين يدي رسول الله (ﷺ) ليصبح الوتين (٢) ابن بضع وثلاثين سنة (٣) الذى طوحت به الدار فهدها الله إلى الإسلام ثم استقر به النوى (٤) إلى حيث نور المصطفى (ﷺ) فدخل بين أحضان الحكمة فتعلق بالعلم، ووضعه نصب عينه، فأضفى عليه لوناً جمل حياته ومُرخ قلبه (٥) بحبه حتى أنه ظمأً فما سد عطشه قدر، وما أفضى بحاجته مقدار، وسعى حتى بلغ، وحلم حتى حقق، وتمنى حتى نال. فقد جاء ﷺ بين يدي رسول الله (ﷺ) حديث الإسلام فصبر وثابر حتى صار وعاء الحديث وقد وقف الجوع حاجز بينه وبين نفسه لكنه عجز أن يحجز بين نفسه والعلم، فعلم الله صدق نفسه في طلبه للعلم وخلص نيته معه فرزقه الله إياه فضُمخ (٦) بأحاديث النبي فأفغم المكان بعطرها وشذاه بريحتها فروى عن

(١) وتن: أقام .

(٢) الوتين: المولود تخرج رجلاه قبل رأسه.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٩ الجزء الثامن إن أبا هريرة قال : " قدمت ورسول الله (ﷺ) بخير سنة سبع، وانا يومئذ زدت على الثلاثين سنة سنوات " .

(٤) استقر به النوى: أى مكان الإقامة.

(٥) مُرخ: أى دهن بالمروخ، والمرخ: الطيب.

(٦) ضمخ : دهن بالشئ، يقال: ضمخت الفتاة كفيها بالخضاب: أى دهنتهم.

النبي حتى شرئت (١) شفتاه فهو زافرة (٢) من زوافر الإسلام بلا زافرة من الأهل، وهو الغريب المقيم بين يدي الحبيب، وهو الذى ارتدى ثوب الإسلام قشيباً (٣) ليكون للمصطفى (ﷺ) رفيقاً، فقد ضمن على طلب المال بوقته فجحنه (٤) حتى جُحن (٥) وألقى الدنيا دُبره فتعلقت بإزاره فبسطت له ذراعها في نهاية المطاف فعنها عاف وزهد، وترك العيش الرغيد ليوم الوعيد، وقد كان يحمد الله على هذه النعم فيقول: (الحمد لله الذى هدى أبا هريرة للإسلام الحمد لله الذى علم أبا هريرة القرآن ، الحمد لله الذى مَنَّ على أبا هريره بمحمد (ﷺ)) (٦) وروى ابن سعد: فى طبقاته أنه قال: " الحمد لله الذى جعل الدين قواماً " ، وجعل أبا هريرة إماماً. حمد الله فاستحق الهبة وشكره فاستحق الزيادة.

وقد بحثت فى مواطن عدة لأجد شيئاً يمكن به أن أوضح حال أبا هريرة فى بداية إسلامه فلم أجد أوضح من ذلك الحديث، عن أبا هريرة

(١) شرئت: أى تشققت.

(٢) زافرة: للشئ أى ركن ، وللإنسان أى العشيرة.

(٣) قشيب: أى جديد.

(٤) جحن: أى ضيق عليه فى المعيشة.

(٥) جُحن: أى صابه مرض من ضيق العيش.

(٦) رواه الخمسة وقال عنه الترمذى حديث حسن صحيح، وكذلك ذكره بن كثير فى

البداية والنهاية ص ٤٦١ الجزء الثامن.

ﷺ قال: (سأل رجل رسول الله ﷺ) فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضحنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: " هو الطهور ماؤه الحل ميتته " (١)

ويبقى السؤال: كيف لأبي هريرة أن يجهل اسم الصحابي في الحديث ويذكره بقول رجل رغم قوة حفظ أبي هريرة المعهود بها.

والجواب أنه كان في بدايات إسلامه فكان أشبه بالطفل إذ يجبو ببطء لكي يتعلم الركض، ويحفظ الكلمات مع ثعثة ثناياه وفهفئة شفتاه لكي يتعلم حسن القول ويجيد الفقاهاة فيه، فكان لا بد له في بداياته أن يجهل بعض الناس. وأجمل ما كان يجمل شخص أبي هريرة هو خلو ذهنه من كل شئ عدا شغفه بالعلم، وأنه كان يتعامل على أن العلم هو كل ما يملك، وهو الميراث الأوحده الذي يجب أن يتنافس فيه المتنافسون فقد روى عن أبي هريرة أنه مر ذات يوم بسوق المدينة وقد هاله انشغال الناس في الدنيا فوقف عليها فقال: يا أهل المدينة ما أعجزكم!! قالوا: وما ذلك يا أبا هريرة؟ قال: ذلك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا وأين هو؟ قال في المسجد فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نرى فيه شيئاً يقسم فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى،

(١) رواه مالك في الموطأ باب الطهور للوضوء ص ٢٠، دار الفجر للتراث..

رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ (١) كان هذا رأيه وكان هذا الرأي الذي يشكل عقيدته.

وإن نفسي لتسأل نفسها أحياناً: ما معنى أن أبا هريرة أكثر صحابة النبي حديثاً بحديثه وحفظاً لحديثه وفي الوقت نفسه أكثر من يدور حوله الضباب وأكثر من يستره الوغش (٢) الذي يصعب على من لا يملك بصيرة أن ينفذ بصره خلالها، وإذا ما أضفنا على كل ما أعطاه الله له من أفضال وأنعم عليه من نعم أنه عالم من علماء الأمة، وأنه الشريان الذي تدفق منه الدم الذي يروي المحدثين ويمد الفقهاء وأن النفس جُبلة على احترام العلماء، فكيف به يحظى بهذا القدر من الهجوم والسعة من القيل والقال؟ وفي الحقيقة مهما اجتهدت في هذا الأمر ومهما حاولت أن أتكلف في هذا الأمر أكثر ما أطاعني عقل وما جاراني منطق. فهو ﷺ لم يكن من صغار الصحابة فجهل الناس سيرته ولم يكن من الذين يتنقلون في بحار الفتن فتموج حوله الشبهات ولم يكن من الذين ينحازون لفئة دون الأخرى فتستقطبه إحداها وتمقته الأخرى وقبل أن نشرح سبب هذا الهجوم في هذا العصر تحديداً يجب علينا أن نوضح شئ فهمه يقودنا لنصف الفهم الذي يُفهمنا هذا اللغز، إن الهجوم على أبي هريرة

(١) الطبراني في المعجم الأوسط ص ٢/١١٥ .

(٢) الوغش: أى فروع الشجر الكثيف، والمقصود هنا: الشبهات

بدأ بعد القرن الثالث الهجري، بما يعني أنه ﷺ سلم أذى القوم حتى هذا الحين تحديداً وقد كان عالي المقام بين صحابته في عصره وشهد له كبار الصحابة بذلك وقد افتتح البخاري كتاب البيوع في صحيحه بحديث سعيد بن المسيب أن أبا هريرة ﷺ قال: " إنكم تقولون أن أبا هريرة يكثُر الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا وكان يشغل أخوتي من الأنصار عمل أموالهم وكنت أمراً مسكيناً من مساكين الصفة أعي حين ينسون". وعن أبي أنس بن أبي عامر قال: " كنت عند طلحة بن عبيد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ منكم، أم يقول على رسول الله ﷺ ما لم يسمع قال: " إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوتات وأهلون وكنا نأتى رسول الله ﷺ طرفي النهار نرجع، وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل، وإنما كانت يده مع رسول الله ﷺ وكان يدور معه حيث ما دار فما نشك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع". (١) فكانت هذه شهادة أحد العشرة المبشرين بالجنة له، فكيف بمن لا يأمن أن يتزحج عن النار بمقدار أنملة أن يخالفه ثم يزداد الأمر إلى حد الجرأة

(١) رواه الترمذى في كتابه " مشكاة النبوة " عن أبي اليسر. وكذلك ذكره ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية " ص ٤٦٥ ، الجزء الثامن .

عظمة أبو هريرة

عليه، ولماذا في عصور الكذب فقط انتشر هذا الهجوم؟ وماذا يبغى هؤلاء من هجومهم على شخصه (ﷺ)؟! وإذا ما فتشت بين صفحات الكتب ونبشت بين سطورها لم تجد إجابة إلا في صفحات الحديث.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال:

قلت يا رسول الله ﷺ ادع الله أن يحبني وأمي إلى عباده المؤمنين ويحبهم إلينا فقال: اللهم حب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبهم إليهما" (١) بموجب هذا الحديث أصبح حب أبي هريرة مقصوراً على المؤمنين، وبالتالي كرهه واجب على المنافقين وبهذا يمكن تفسير أن الهجوم على أبي هريرة ازداد حدة وقوى شوكة في عصور الكذب. يقول أبو هريرة:- "فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمة إلا وهو يحبني". (٢) وقيل لأبي أيوب الأنصاري: أنت صاحب رسول الله ﷺ وتحدث عن أبي هريرة؟ فقال: "إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع، وإني إن أحدث عنه أحب إليّ من أن أحدث عن رسول الله ﷺ" يعني ما لم أسمع منه". (٣)

(١) ابن كثير في كتاب " البداية والنهاية " ص ٤٥٦، الجزء الثامن، دار التوفيقية للتراث.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ص ٩١٠ حديث رقم ٢٤٩١.

(٣) ابن كثير في كتاب " البداية والنهاية " ص ٤٦٠، الجزء الثامن، وكذلك الذهبي في كتابه " سير أعلام النبلاء " ٢/٦٠١.

ومن عجائب الأمور أنهم يهاجمونه بالتالي:
يقول بعضهم إنه كان يكذب على رسول الله ﷺ في حين أن رسول
الله ﷺ قال له بعد ما سأله عن حديث الشفاعة: " لقد ظننت يا أبا
هريرة أن أحداً لا يسألني عن هذا الحديث أول منك، لما رأيت من حرصك
على الحديث" (١) وقال بعضهم إنه كان يكره آل البيت في حين أن زوج
ابنته: سعيد بن المسيب (٢) وهو أشد أعداء الدولة الأموية وأشد المحبين

(١) البخارى في صحيحه ص ٧٧٦ حديث رقم ٦٥٧٠ ، وكذلك ابن كثير في كتاب " البداية والنهاية " ص ٤٥٧ ، الجزء الثامن .

(٢) ذكر ابن كثير في كتاب " البداية والنهاية " من ص ١٠٠ : ١٠١ ، الجزء التاسع إن
سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب. هو أعلم الناس بحديث أبي هريرة وزوج
ابنته، وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين، قال عنه ابن عمر:- كان سعيد
أحد المفتين، وكان أعلم أهل الأرض كلها في زمانه" ، وقال سعيد بن المسيب عن
نفسه :- " إنه ما فاتته التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة " ، يقول مكحول:- " طفت
الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت اعلم من سعيد بن المسيب، قال الربيع عن
الشافعي أنه قال:- " إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن " ، قال أبو حاتم:- ليس
في التابعين أنبل منه، وهو أثبتهم في أبي هريرة خطب عبد الملك بن مروان ابنته لابنه
الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها وزوجها لكثير بن أبي وداعة بدرهمين، لما جاءت
بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل
وأطافه المدينة، وعرضوه على السيف فمضى ولم يبايع، ولما رجعوا به رأته امرأة
فقال:- ما هذا الخزي يا سعيد؟ فقال:- من الخزي فررنا إلى ما ترين ..

لآل البيت والأهم من ذلك أنه كان يعادي من يعاديهم ولو شك لحظة أن أبا هريرة من المنتفعين من الدولة الأموية وأنه صنيعاً معاوية كما يقولون، لكان موقفه غير الموقف ولتواترت إلينا أنباء عن خلاف نشأ وعداً شب بينهما ولعل أغرب ما قيل فيه إن بعضهم عاب عليه فقره ونسوا أن النبي ربي صحابته على الزهد وحذرهم من بسط الدنيا حتى أنه عندما بسطت لهم الدنيا يديها وأودقتهم^(١) بعظيم خيراتها، وخبشت^(٢) لهم الغنائم من شتى أطرافها لتلقى بها بين يدي المسلمين فكان سبي جالولاء وانتصار القادسية وذات الصواري وتوالت الانتصارات حتى طمت الغنائم فابتلى المسلمون بكثرتها فقال: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه " ابتلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضراء فصبرنا ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر " ^(٣) تجد أن أبا هريرة يكف يده عن أكل الشعير مقتدياً بخليفه، ونفس الموقف كان قد تكرر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ أنه منع يده أن تمدد على وليمة: خالد بن الوليد إشفافاً عليها أن تأكل طعاماً لم يأكله صاحبيه، فقصصهم رضى الله عنهم تتشابه لدرجة توهم القارئ بأنها تتكرر .

(١) أودقتهم: أى أمطرتهم، فى قوله تعالى " فترى الودق يخرج من خلاله " سورة النور : آية ٤٣ .

(٢) خبشت : أى جمعت .

(٣) الترمذى فى سننه حديث رقم ٢٤٦٤ .

وهذا الإجماع الذي فاز به أبو هريرة على عظيم علمه وانتصر له ممن حاولوا هزيمته يلفت انتباهنا إلى شئ هام جداً. عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ قال: مررت بأبي هريرة وهو يتوضأ . فقال : أتدرى مما أتوضأ؟ من أثوار قط أكلتها. لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول (توضأوا مما مست النار) (١) فهذه طريقة أبي هريرة في سرد حديثه وإذا ما أحدثنا مقارنة بين هذا الأسلوب في سرد الحديث وبين أسلوب عبد الله بن عمر. عن أبي وائل قال: (كان عبد الله بن عمر يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم . قال: أما إنه يمنعني من ذلك أنى أكره أن أملككم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السامة علينا) (٢) فما بين هذا السياق وذاك يتضح لنا أن أبا هريرة هو الذي أجبر: عبد الله بن قارظ على أن يعلم الحديث، فكان هذا أسلوبه في عرض الأحاديث ونشر العلم دون مراعاة لحالة المستمع أو لمقدار تقبل الطالب لما يوضع بين يديه متغاضياً عن الحالة البشرية للمستمع. حيث كانت عبقرية النبي ﷺ تحض على معرفة الحالة النفسية للصحابة قبل أن يحدثهم بما نزل عليه من الوحي، فالعلم حكمة يجب أن تنظر حيث تضعها فلا يستقر طفل في غير رحم أمه، روى أن رجل قال لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم ؟ قال إذا

(١) رواه مسلم في صحيحه ص ١٣٢ حديث ٣٥٢.

(٢) البخارى في صحيحه ص ٧٦١ حديث رقم ٦٤١١.

■ عظمة أبو هريرة

اشتهيت الصمت ، قال: ومتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام. فكان هناك شبه إجماع من الصحابة على ملامته في أسلوب سرده للحديث ، كما كان هناك إجماع على قدراته وتمكنه فيه.

عن عروة بن الزبير قال: قال لى أبي الزبير:- " أدني من هذا اليماني - يعني أبا هريرة - فإنه يكثر الحديث عن رسول الله (ﷺ) قال: فأدنيته منه، فجعل أبو هريرة يحدث بينما جعل الزبير يقول: صدق كذب، صدق كذب.. قلت : يا أبة ما قولك صدق كذب؟ قال : يا بني أما أن يكون سمع هذه الأحاديث عن رسول الله (ﷺ) فلاشك ولكن منها ما وضعه على مواضعه، ومنها ما وضعه على غير مواضعه" (١)،

روى الترمذي أن ابن عمر قال لأبي هريرة :- "كنت ألزمنا لرسول الله (ﷺ) وأعرفنا بحديثه (٢) وجلس أبو هريرة إلى حجرة عائشة، فيحدث ثم يقول: يا أمة أتتكين مما أقول شيئا ؟ قال: ابن عباس: (فلما قضت صلاتها، لم تنكر ما رواه، لكن قالت: لم يكن رسول الله (ﷺ) يسرد الحديث سردكم. (٣) فلم تنكر حفظه أو سماعه عن النبي (ﷺ) إنما

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦٠ ، الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.
(٢) ذكر بن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٨ : ٤٥٩ ، الجزء الثامن إن ابن عمر قال:- " أنت يا أبا هر كنت ألزمنا ولأعلمنا بحديثه".

(٣) الترمذي في سننه حديث رقم ٣٦٣٩.

أنكرت سرده للحديث^(١) لكن رغم أن هذا الصدع كان ظاهر في عصره فاستقطب عيون الكثير إليه إلا أنه في عصر كعصرنا يعد ميزة كبيرة. فلولا أن أبا هريرة تمادى في سرد الأحاديث دون رادع لضاع منها الكثير ولما أسعفه العمر لضيق سعته على احتواء الأحاديث بعظم مسطحاتها، ولولا أن جميع الضوابط سقطت أمامه فكان يحدث دون قيود ويتكلم دون تعسف لما ضبطنا نحن الفقه ولما قبضنا على السنة، ولكن هناك شئ غريب أيضاً في شخصيته يتجلى واضحاً في هذا الحديث الذي ذكرناه عندما وصفنا رد فعله تجاه أهل المدينة عندما رأهم قد انشغلوا بالدنيا فقال لهم: "ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه" فكان ﷺ يتعامل على أن الناس يشبهون شخصه تكويناً ومضموناً، فيبدو أنه كان يفرض عليهم- حفظ الأحاديث - بناءً على ما يراه في نفسه حيث أنه كان يركض خلف العلم فخيّل إليه أن كل من حوله يركضون معه فكان يُعلمهم ما يعلم، وهذا الأمر يستحيل واقعياً، إذ أن الناس أشكال وطينتهم ألوان وكل منهم يسلك طريقاً مختلفاً التوجه عن الآخر، فذاك يحب العلم، وهذا يحب الجهاد، وذاك يحب المال، وهذا يحب السلطة ولكن طبيعة العلماء تغفل هذا المفهوم غالباً.

(١) يقول ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٩ الجزء الثامن: "إن عائشة تأولت أحاديث كثيرة من أبي هريرة ووهمتها في بعضها، وفي الصحيح أنها عابت سرد الحديث أياً الإكثار منه في الساعة الواحدة".

فالعالم بطبيعته يزدرى من لا يتعلم، فهو يشعر أن بين يديه معدن أغلى من العسجد لكن لا يوجد من يأخذه، ويتكابد مع نفسه فجزء منها يحاول أن يجبره على السكوت ولكن يبقى الجزء الآخر لا يسكن إذ ان غيرة العالم تدفعه دفعاً فغالبا ما ينتصر. فالعالم لا يحب أن يرى احد مما حوله يجهل ما يعلم، ويتذمر إذا ساقه القدر بين من لا يقدر قيمة العلم ويتضجر من مجالسة الجهلاء ويتأذى من سماع آرائهم ويمرض من دوي أفكارهم، وكذلك المجاهد الشجاع يتذمر من رؤية الجبناء وتستهويه مشاهدة الشجعان، فكل نفس تزدرى ما يناقض طبيعتها فقد بكى سعيد بن المسيب، وعندما سأله عطاء عن السبب قال:- ليس أحد يسألني عن شيء^(١) وخرج: سفيان الثوري. من عسقلان لأنه رأى انها بلد بلا علم^(٢) وكان الطبري يلوم تلاميذه على ضعف الهمة. ولما كانت الهمة أهم ما يميز العلماء وأحرص ما يحرصون عليه بين تلاميذهم؛ فلا بد وأن تتجلى واضحة قوية في شخص كشخص أبي هريرة.

ومن أعظم ما روى عن عظيم همته وروائع إصراره وعظم إرادته تلك التي قالها مدافعاً عن نفسه إذ استكثروا حديثه فقال: " إن الناس

(١) ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين عن عطاء أنه ﷺ قال: دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي، فقلت ما يبكيك؟ قال: ليس أحد يسألني عن شيء.

(٢) ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين نقلاً عن السلف أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان فقال:- أكرؤا لي لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم.

يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم أخذ يتلو: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى قوله { الرحيم } إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشعب بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون (١)، وروى البخاري في صحيحه أن سعيد بن المسيب قال:- إن أبا هريرة ﷺ قال:- " إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم وكنت أمراً مسكيناً من مساكين الصفة أي حين ينسون ". (٢) وقد ذكر البخاري هذا الحديث في بداية كتاب البيوع ؛ كأنه أراد القول بأن طلب العلم والمال لا يجتمعان عند رجل واحد. فلا يستوى من قدم العلم ولأجله أزاح كل ما خلفه مع من كان يتلقى العلم بالترنج مع مستلزمات الحياة.

عن سعيد المقبري قال . قال أبو هريرة (رضي الله عنه) " يقول الناس أكثر أبو هريرة، فلقيت رجلاً فقلت: بما قرأ رسول الله ﷺ البارحة في العتمة؟

(١) البخاري في صحيحه ص ٢٦ حديث رقم ١١٨ .

(٢) البخاري في صحيحه ص ٢٤٠ حديث رقم ٢٠٤٧ .

■ عظمة أبو هريرة

فقال: لا أدري فقلت: لم تشهدا؟ قال: بلى، قلت: " لكن أنا أدري، قرأ سورة كذا وكذا" (١) فإذا كان البعض ينسى السورة التي قرأت في العتمة قبل مرور أكثر من يوم علمها فكيف يلام أبا هريرة على ما حفظ بين صدره من أحاديث وما اتسع له جوفه من علم وجميع صحابة النبي يعلمون مقدار قوة ذاكرته ؛ وكان يكفيه دعاء النبي له ولعل أعظم القصص التي توضح قوة ذاكرة أبو هريرة تلك التي يرويها: أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم فيقول:-

دعا مروان أبا هريرة فجعل يسأله، واجلسني خلف السرير وجعلت أكتب عنه، حتى إذا كان رأس الحول دعا به، فأقعده من وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا آخر (٢) فمروان بن الحكم. يصر على اختباره فتارة يختبر كرمه وتارة يختبر حفظه وفي كلِّ ينجح أبو هريرة بإقتدار بعدما يُحنق عليه الإختبار بلا رافة فاستحق ثقة الصحابة والتي بدورهم نقلوها إلى التابعين ليدونوها حتى تصل إلينا كتهم قد فجت بأحاديثه، وانثعبت برواياته فكان يتسابق التابعون كلُّ قبل الآخر ليحظى بالنصيب الأكبر مما في صدره من معادن نفيسة وعلى رأسهم: سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.. وغيرهم.

(١) البخاري في صحيحه ص ١٤٨ حديث ١٢٢٣، دار بن الجوزي.

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦٤، الجزء الثامن .

وكانوا يتابعون تصرفاته ويحفظونها لعلمهم بأنه لا يخالف سنة النبي ﷺ وأنه أحد النجوم التي إن اقتدينا بأههما اهتدينا . فكان سعيد بن المسيب يقول: " صليت وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط، فسمعته يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر" (١) وروى الإمام مالك في الموطأ عن نافع عن ابن عمر قال: " شهدت الأضحى والفطر مع أبي هريرة . فكبر في الركعة الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة، وفي الآخرة خمس تكبيرات قبل القراءة".

وقال أبو زرعة:

"إن أبا هريرة (رضي الله عنه) دعا بوضوء فتوضأ وغسل ذراعيه حتى جاوز المرفقين، فلما غسل رجليه جاوز الكعبين إلى الساقين " فمن الواضح أن العيون كانت تُصب عليه لتقتفي من هداه الذي شكل من الرحمة المهداة، ولو أنه حاد عن ذلك مقدار ذرة لانقلبت الأرض عليه، فمن ذا الذي يكون من صحابة رسول الله ﷺ ويكذب على رسول الله ﷺ وكيف لصحابة رسول الله ﷺ أن يتركوا بينهم من يكذب على رسول الله ﷺ فقد أخبر عبد الرحمن بن الحارث مروان أن عائشة وأم سلمة أخبرتا أن رسول ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم. وقال مروان لعبد الرحمن بن الحارث: " اقسم بالله لتقرعن بها أبا هريرة. ومروان يومئذ على المدينة فقال أبو بكر: فكره ذلك عبد الرحمن ثم قدر

(١) الإمام مالك في الموطأ ص ١٥٢ حديث ١٨ كتاب الجنائز، دار الفجر للتراث.

■ عظمة أبو هريرة

لنا أن نجتمع بذى الحليفة وكانت لأبي هريرة هنالك أرض فقال: عبد الرحمن لأبي هريرة: " إني ذاكر لك أمراً ولولا مروان أقسم على فيه لم أذكره لك فذكر قول عائشة وأم سلمة فقال: " كذلك حدثني الفضل بن عباس وهن أعلم "

فعندما تربت يد: مروان. على خطأ لأبي هريرة ما ترك الفرصة تتسحسح من تحت يده، وكأن شئ نفيس جاءه من حيث لا يحتسب وحتى عندما امتنع عبد الرحمن بن الحارث. على أن يواجه أبا هريرة بهذا الأمر حياء من الرجل العظيم إحدى أساطين العلم صاحب العلم والعمل المخلد إلى الأبد والاسم البراق في كتب التاريخ وجد أن: مروان. يلح ويلحف في السؤال ليكسب بها خطوة على شخصه فهو دوناً عن كل الآخرين اختبر أبا هريرة تارة في الكرم فلم يجد أكرم منه وتارة في الحفظ فلم يجد أحفظ منه وعندما وجد هفوة مبررة من أبي هريرة ما رحمه، فما ظنك إذا كانت هناك هفوات أخرى؟! أن قوة حفظ أبي هريرة علت فوق الدرجات، وارتفعت فوق كل القمم فأعجزت العقول، وأدهشت الأبواب فكان إذا أراد أحد من الصحابة حديثاً بحث عن أعظم المحدثين، وإذا أراد رواية بحث عن الراوية، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة فيقول: يا أبا هريرة نشدتك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يا حسان أجب عن رسول

الله ، اللهم أيده بروح القدس ؟ قال: أبو هريرة : نعم (١) فقد علم حسان قدره فاستشهد به، وعلم حفظه فسأله خاصة، وعلم أنه لا ينسى فسأله أمام العامة .

جاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله عن شئ . فقال له زيد (عليك أبا هريرة) (٢).

فزيد بن ثابت اختاره لعلمه بفقهِه وأشار عليه بالبنان ليقينه بعظيم علمه، وقال: أبو هريرة عن نفسه " ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب" (٣) ومن المعروف أن عبد الله بن عمرو. كان يكتب كل شئ عن النبي ﷺ حتى أخذ عليه صحابة النبي ﷺ ذلك لكن النبي ﷺ أجاز له فكتب حتى أكثر، وأكثر حتى بالغ في الكثرة فكان صاحب الصحيفة الصادقة. ولكن المعروف أن أحاديث عبد الله بن عمرو. لم تكن تقارن بأى حال بتلك الحشود الضخمة التي كانت تتجمع في ذهن أبي هريرة ولكن يبقى السؤال: إذا كان عبد الله بن عمرو أكثر الصحابة حديثاً فأين ذهبت أحاديثه؟ ولما لم تنتشر كأحاديث أبي هريرة؟ أسبب أنه كان يحفظ وضعت له أسبقية على من يكتب؟ أم بسبب انه كان ينشر الأحاديث ببزخ

(١) مسلم في صحيحه ص ٩٠٩ حديث رقم ٢٤٨٥.

(٢) الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٠٨ قال عنه حديث حسن.

(٣) البخارى في صحيحه ص ٢٦ حديث رقم ١١٣، دار ابن الجوزي القاهرة.

■ عظمة أبو هريرة

بينما كان عبد الله بن عمرو مشغول بالعبادة ، إضافة إلى كثرة انتقاله من مكان إلى آخر. أم أن أبا هريرة أخطأ تقدير قدره؟ أم أنه قال هذا الحديث قبل دعوة النبي له وإذا ما نحينا أمر عبد الله بن عمرو جانباً وبحثنا بين الآخرين قالت عائشة لأبي هريرة إنك لتتحدث عن النبي ﷺ حديثاً ما سمعته منه فقال أبو هريرة: يا أمة طلبتها وشغلك عنها المرأة والمكحلة وما كان يشغلني عنها شيء (١) فأما المؤمنون أقرت أبا هريرة . في كل موضع وضع أمامها لتحكم فيه وحكمت فأُنصفت وطلبت شهادتها، فقالت كلمتها فأُنصفته أمام عبد الله بن عباس وسائر الصحابة. روى البخاري عن أبو النعمان حدثنا جرير بن حازم قال: - سمعت نافع يقول:- حُذث ابن عمر أن أبا هريرة ﷺ قال: (من تبع جنازة فله قيراط). فقال : (أكثر أبو هريرة علينا). فصدقت - يعني عائشة - أبا هريرة ﷺ وقالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقوله)

فقال ابن عمر ﷺ (لقد فرطنا في قراريط كثيرة) (٢)
فبالتأكيد أن مواقف كهذه تحتاج إلى تحليل وطول تفكير فأبو هريرة ﷺ شهد له الجميع بصدقه وحفظه ولكنهم كانوا يتمحصون فيما يقول تارة، ويسألونه بلهجة يشوبها التعجب تارة أخرى لكنهم ما شككوا في صدقه قط . فما السبب؟

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٩، الجزء الثامن، دارالتوفيقية للتراث.

(٢) البخاري في صحيحه ص ١٦٠، حديث ١٣٢٣، دار ابن الجوزي.

استقر الصحابة على صدقه وشهدوا له بحفظه وراح بعضهم ليستشهد برواياته ثم عاد عبد الله بن عمر يقول: (أكثر أبو هريرة علينا) وقالت عائشة رضي الله عنها: "إنك لتتحدث عن النبي حديثاً ما سمعته منه " (١) فقولهم هذا جاء نتيجة كثرت الأحاديث التي رواها بذاك المعدل الذي يفوق العقل ويتخطى حاجز الحذر. فكتب الأحاديث حملت اسم أبي هريرة منفرداً بشكل يرجح كفته. فكان لا بد للعقل أن ينظر بتمعن محاولاً إدراك ما يجهله وينظر بتأمل محاولاً الوصول إلى الأسباب التي أدت إلى تلك النتائج " فليس كل ما تعجز على فعله يعجز عنه الآخرون وليس كل ما تفعله يفعله الآخرون " .

فعندما تكثر بطولات شخص إلى حد أن عقلك لم يعد يستطيع تقبلها، وحدود المنطق عندك لم تعد تستطيع التصديق. فعليك بالترث في التفكير، وطول التحليل، وربط الأحداث، والتأكد من مصداقية الرواة وقراءة المشهد جيداً قبل الحكم، فالناس بطبيعتهم مختلفون في الطبيعة ومتفاوتون في القدرات . أما إذا أردت أن تصل إلى نموذج البطل فعليك أن تختار النموذج، ثم تدرس، وتحلل، وتحسن التفكير في الأسباب التي شكلت شخصه والمكونات التي كونت هيكله، والأسباب التي سببت

(١) طبقات ابن سعد، وكذلك ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنها قالت له: " أكثرت الحديث عن رسول الله يا أبا هريرة.

عظمة أبو هريرة

صلابته، ثم تنظر نظرة الحصيف^(١) إلى مميزاته وعيوبه، وتقارنها بنفسك لتضيف إليها ما ينقصها وتحذف منها ما يعيبها، وتبحث ما يتماشى مع طبيعتك، وتعوض ما يتجاهلك، ثم تضع ذلك النموذج نصب عينيك فلا تحيد عنها طرفة عين، ولا يريم مكانه عن قلبك سنة وتمسك بالإصرار وتتحلى به وتجعله معك أينما ذهبت فيكون لك عضداً إذا فتت قواك وعصا إذا ألفت أمامك العقبات وساعدا إذا اشتدت عليك الضربات.

روى بكير بن الأشج، قال :- قال لنا بشر بن سعيد: " اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب الأخبار، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا، يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب وحديث كعب عن رسول الله ﷺ فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث" (٢).

فإذا كان الصحابة والتابعين عجزوا عن الحفظ إلى حد أن خلطوا حديث النبي بغيره فكيف يُفزع أبو هريرة على حفظه؟! وكيف أن أبا هريرة لم يكتفي بعلم الأحاديث فنش عما في التوراة؟! فهل حب العلم قد يصل في إنسان إلى هذا المدى، وهل المدى في الحب له قدر يصل إلى هذا المقدار، أم له مقدار لا يقدر بقدر.

(١) الحصيف: الحكيم.

(٢) ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" ص ٤٦٠، الجزء الثامن، دار التوفيقية.



لم تكن ولاية أبي هريرة خلافة ففتحها الأجيال بها، وتهافت الأحياء لتدوينها كخلافة عمر بن الخطاب، ولم تكن ولايته بالذي نستطيع أن نذكر فيها حسن الإدارة وجمال الفكر وروعة الإرادة مما استدعى لجب القوم على مر الدهر وخيس باسمه بين رقام التاريخ وزج سيرته بين مطايا العظام وخلد ذكره بين ثنايا السמידع والقيمي لكنها كانت مجرد ولاية لجزء في وجود الكل ما لم يميزه شئ يطفو به إلى السطح وما لم يتحمل حملته شئ فيُعبر عن مدى ثقله.

فنحن لم نلاحظ شئ مميز في ولاية أبي هريرة سوى تلك القبسات التي يمكن أن نستخرج منها هيبة العالم، وجمال فكره في التعامل مع الآخرين، وبعض مما نستطيع القول فيه إنه الفارق بين الدولة المدنية في نظام إدارتها، والدولة العسكرية في هيكلها من الجانب الآخر. أو الفرق بين الدولة السياسية التي تستتر خلف المكر تارة، وخلف الدهاء تارة أخرى أو أنها كانت تلك الولاية التي تراق بها الدماء فتزهو في حينها ثم يلعبها التاريخ بعد ذلك كزياد ابن أبيه وابنه من بعده. فعبيد الله بن زياد بعدما قتل الحسين وأل بيت النبي ﷺ صعد إلى المنبر وخطب ...

" الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته" (١)

فبينما تشعر الأمة الإسلامية بالحر، وتلطخت جباه أبنائها بالعار في أمانة

(١) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٥٣٥ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

لم يصونها للنبي في آل بيته، وفي ذل وانكسار ما دفعوه عن السيدة زينب .

صعد هذا إلى المنبر قائلاً تلك الكلمات دون أن تمنعه نخوة العرب من ذلك، ودون أن يزوده لسانه عن منطق لا يقنع إلا من كان في قلبه مرض، فعن أي أمير للمؤمنين يتكلم، وما ذاك الحزب الذي يتكلم عنه.

فأى حزب ذلك الذي يكون شمربن ذي الجوشن (١) وعبيد الله بن زياد في كفة، وسيد شباب أهل الجنة وآل بيته في الأخرى. وأي حزب ذاك الذي يتركه الحربن يزيد في أوج الحاجة إليه قائلاً: " إني أخير نفسي بين الجنة والنار، ولا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعت أو حُرقت". (٢)

ومن ذاك الكذاب الذي يهفو لسانه بذكره. فمن ينادى بالصادق إذ كذب سيد شباب أهل الجنة مرة ثم زوج ابنة النبي ﷺ ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة في الأخرى. لكنها جرأة المهند (٣) التي دفعت اللسان معها فزادته جرأة على جرأة، أو ربما نطق لسانه بكلام غير مقنع على أمل أن

(١) كان أبرص، وروى ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٥٣٢ إن الحسين بن علي ﷺ قال:-

قال رسول الله ﷺ:- " كأني انظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي، حديث ضعيف .

(٢) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٥٢٥ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

(٣) المهند: السيف

يقتنع به قلبه، فيخفف بعض من وخذ الضمير؛ ويزيل بعض من طلاء العار الذي شيم بهم في قاع التاريخ.

أو ربما أن سيفه الأفاك (١) افتقد الدماء فأراد بهذه الكلمات أن يستفز شخص كعبد الله بن عفيف الأزدي فيقول له " يا ابن مرجانة! أتقتل أبناء النبيين، وتقوم على المنبر مقام الصديقين؟ إنما الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه" (٢) ثم يأمر بقتله حتى يزجر ألسنة الغير على قول حقيقة كهذه فيما بعد. أو ربما أن دافع التشفي قد أثاره؛ فلم يجد وسيلة تداوي غليله سوى السيف. أو ربما أن عقدة النسب والتي لولاها لما انضم أباه إلى حزب معاوية من قبل قد أثارت حقه الدفين فراح ينتقم من كل ذي شرف ولا شرف يعلو فوق شرف الحسين بين قومه، فهو من هو وأبوه بيت العلم والحكمة ورابع الخلفاء الراشدين، وأمه بنت رسول الله ﷺ. والحقيقة أن ذاك العمود من النسب يحتاج إلى مجلدات لوصفه ولكن في المقابل فإن عبيد الله بن زياد كان ينادى بأمه فيقال له: يا ابن مرجانة ، كما كان ابوه ينادى بأمه فيقال له: يا ابن سمية . على كل حال ما أردت قوله من هذا الأمر هو ذاك التوضيح الذي يضع الخط الفاصل بين الدولة المدنية والدولة العسكرية والدولة السياسية التي تشملها معاً تارة، وتشمل المكر والخديعة تارة أخرى. فالنعمان بن بشير

(١) الأفاك : الفتاق.

(٢) ابن كثير في " البداية والنهاية" ٨/٥٣٥ ، مرجع سابق.

(أمير الكوفة) بعدما بايع سيدنا الحسين عليه السلام على يد مسلم بن عقيل بن أبي طالب أكثر من إثنا عشر ألف شخص قال:- " إني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب على " (١) ، بينما زياد بن أبيه كتب إلى معاوية في إحدى رسائله: " إني قد ضبطت العراق بيميني وشمالي فارغة" وسأله أن يوليه الحجاز (٢) .

فتلك اللغة التي يتحدث بها أهل القوة، فلا يذكر إلا الساعد، ويجنب الحكمة مقابل كلمات من تعالى. فالنعمان بن بشير بعقلية الصابرين لم يواجه المشكلة بحد السيف بعكس ما فعل عبید الله ابن زياد الذي استباح كل شئ لأجل دنياه، ولم يراعى شرف القتال ولا أخلاق الفرسان بعكس ما فعل مسلم بن عقيل حين عرض عليه شريك بن الأعور أن يقتل: ابن زياد أثناء زيارته له في بيته لكنه رفض الغدر (٣) . ولو قتله مسلم لنجاه أمام الله من عظم ذنب قتل الحسين بن علي عليه السلام . وما هذا السلوك بجديد؛ فقد ضرب عمه الإمام علي عليه السلام من قبل نموذج يحكي عزة العرب وعلو شرفهم يوم الجمل فقال: " لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم

(١) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٥٠٠ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

(٢) الذهبي في " سير أعلام النبلاء" ص ٤٩٧.

(٣) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٥٠١ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

وسببن أمراءكم ، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير بها، هو وعقبه من بعده" (٤) .

وعلى كل حال قد يتوهم القارئ أن ملك يزيد لم ينجو إلا بالتدخل العسكري لكن هذا ظاهر الأمر أما جوهره أن ملك يزيد ظل يستقبل الثورات تلو الثورات، والصدمة تلو الصدمات، وظل هشاً متصدعاً وسرعان ما توفي يزيد وخلفه ابنه: معاوية. الذي أعلن في الناس بأنهم في حل من بيعته وما كان انتصار ابن زياد . سوى انتصار لحظي خلف بعده كوارث .

ومما سبق نستطيع القول إن الدول لا تتقدم إلا بالاستقرار ولا تبنى على أجساد القتلى فالانشقاق أي كان نوعه وسببه بين أفراد الشعب الواحد لا يولد إلا النزاع؛ والنزاع دفين لو اشتعل أشعل معه البلاد. فإذا أراد الملك الظافر بعدوه ملكه أن يستقر فيكفي أن يخمد صوت عدوه أما تماديه في الدماء يزيد من الحقد ضده ويزيد من دائرة أعدائه؛ فالدماء لا تولد إلا الدماء.

يقول ميكافيللي:

" فإنك أيها الأمير ستكون في حاجة دائمة إلى حب الناس حتى تستطيع السيطرة على بلادهم مهما كانت قوة جيشك " (٢)

(١) نصب الراية ، تحقيق مواقف الصحابة.

(٢) ميكافيللي في كتابه " الأمير " .

وينصح أيضا الملك الفاتح لمدينة جديدة بأن يجنب أهلها التعامل مع الجيش حيث كيف يرضى الابن بأن تقر عينه وهي لا تزيغ عن قاتل أبيه، وكيف يرضى الأخ لنفسه أن تهدأ وهي تتعطش لدماء قاتل أخيه؟! أما تعامل رجال السياسة مع أهل المدينة يخفف من وطأة الكره فيزيلها تماما بمرور الوقت، فيجب بعد الفتح أن يكون الوالي ذات طابع لين فتلين له القلوب، فالدولة العسكرية تحمي البلاد من تطاول الأعداء وتحافظ على هيبة الوطن أما الدولة المدنية تتميز باللين على رعاياها والرفق بهم.

فبينما كان أبو هريرة. أمير مروان على المدينة (كان يحمل الحطب على ظهره ماراً في السوق فيقول لثعلبة بن أبي مالك: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك .. فيقول: يرحمك الله، يكفي هذا، فيقول أبو هريرة: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه (١).

وروى أيضا أنه رأى الصبية يوماً يلعبون لعبة الغراب، فتسلل بينهم وهم لا يشعرون حتى ألقى نفسه بينهم، وضرب برجليه الأرض (كأنه مجنون) يريد بذلك أن يضحكهم فيفزع الصبيان منه ويفرون ضاحكين (٢) وبالتأكيد أن الطابع المدني يغلب على أبي هريرة حتى وأن طُمر بالشجاعة العسكرية. فلذلك كانت أخلاقه كذلك وبالمقابل فإن صحابي :

(١) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٤٦٤ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

(٢) ابن كثير في " البداية والنهاية" ٨/٤٦٤ ، وكذلك ذكر ابن سعد في كتابه " تهذيب طبقات الصحابة".

كخالد بن الوليد^(١) . كان يغلب عليه الطابع العسكري فكان سيفه أسرع جواباً وأقوى بياناً.

وبالمقابل صحابي كالمغيرة بن شعبة . كانت تغلب عليه تلك الشخصية السياسية التي تحصل على ما تريد بسهولة وتنال ما تحب بالعقل. فقد روى عن زيد بن اسلم : (أن عمر استعمل المغيرة على البحرين، فكرهوه؛ فعزله عمر فخافوا أن يرده فقال دهقانهم: إن فعلتم ما أمركم لم يرده علينا .. قالوا: مرنا .. قال: تجمعون مائة ألف حتى أذهب بها إلى عمر فأقول أن المغيرة اختان هذا .. قال: فجمعوا له مائة ألف، وأتى عمر فقال ذلك. فدعا عمر المغيرة فسأله .. قال المغيرة: كذب أصلحك الله، إنما كانت مائتي ألف .. قال عمر: فما حملك على هذا قال: العيال والحاجة .. فقال عمر لدهقان البحرين: ما تقول؟ .. قال:

(١) سماه النبي ﷺ سيفاً من سيوف الله بعد غزوة مؤتة، وكان لخالد ﷺ عبقرية حربية بلغت به الأساطير فوردت للمسلمين نصر وصدت للأعداء هوس بقدراته الفذة، فقبل إن قائد الروم جورج برز سأله: أحق أن الله أنزل على نبيكم سيفاً من السماء، فأعطاه لك فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟ (الطبرى في تاريخه ٣/١٤١) أرسله النبي ﷺ إلى بني جذيمة فقتل منهم من لم يجز له قتله فقال النبي ﷺ :- " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد". كما أخذ عليه عمر بن الخطاب ﷺ قتله مالك بن نويرة". (ابن الأثير في " أسد الغابة " ٢/١٣٤ ، وابن سعد في " تهذيب طبقات الصحابة " ص ٢٨٢ - ٢٨٣) .

والله لأصدقنك. ما دفع إلى قليلاً ولا كثيراً .. فالتفت عمر للمغيرة قائلاً: ما أردت إلى هذا؟.. قال: الخبيث كذب على فأردت أن أخزيه .

هذا هو المغيرة الذي قال عنه قبيصة بن جابر: " صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها" (١).

وهذا هو المغيرة الذي أضعف معنويات الفرس في معركة القادسية بجملته الشهيرة: " قد بعث الله إلينا رسولاً قال له:-إني قد سلطت هذه الطائفة - يعني الصحابة رضوان الله عليهم- على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق، ولا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به أحد إلا عز (٢). كما أضعف معنويات المشركين من قبل فأجبرهم على عقد صلح الحديبية فهذه هي السياسة التي أقصدها (أن تنال ما تريد بأقل الخسائر وأن تصنع ما تتمنى بنضيق الجهد) شرط أن تقيد هذه التصرفات بالشرع وتطابق التشريع، فأحياناً يبتكر السياسي شيئاً قد يبدو ناجحاً جداً في وقته لكنه كارثي في مستقبله. فإن الملكة الروسية: كترينا. شكت كسل رعيتهما فبدلاً من أن تحاول ابتكار طريقة لتحفز بهما رعيتهما أرشدت إلى حمل النساء على الخلاعة وأحدثت كسوة المراقص، فتسارع الشبان في العمل وتسابقوا في

(١) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٣٩٩ ، الجزء الثامن .

(٢) " ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٣٦ ، الجزء السابع .

كسب المال لصرفه على ربات الجمال فتضاعف دخلها المادي على حساب الرصيد الأخلاقي لشعبها. وكذلك المغيرة بن شعبة . فبعدما عزله معاوية ذهب به دهائه إلى ابتكار طريقة لتجبره على إعادته؛ فاقترح على يزيد أن يوليه أبوه الخلافة من بعده قائلاً: "إن أصحاب النبي وكبراء قريش قد ذهبوا، وبقي الأبناء وأنت من أفضلهم، فلا أدري ما يمنح أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة". فلما علم معاوية بما قال المغيرة أعاده لولاية الكوفة حتى يتم له البيعة فيها، وينظر الأمر مع ثقات أهل الكوفة.^(١)

للمغيرة نال ما أراد لكن على حساب أنه أحدث شيئاً ما سبقه به أحد قبله (أي تولية يزيد). فجلب على الأمة ما جلب من فاجعة مقتل

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ، وكذلك ذكر العقاد في كتابه معاوية بن أبي سفيان لكن جلال الدين السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ ذكر إن الحسن البصري قال:- "أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت، ونال من القراء، فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والمغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية . إذا قرأت كتابي فأقبل معزولاً، فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأك ؟ قال: أمر كنت أوطئه وأهينته، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك قال: أو قد فعلت ؟ قال: نعم ، قال: إرجع إلى عملك، فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. وقال الحسن البصري معلقاً على فعل معاوية والمغيرة:- " فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة".

الحسين عليه السلام ، واستباحة مسرف بن عقبة للمدينة ؛ ووقعة الحرة وكل هذا. لذلك سواء كانت السياسة أو الحكمة أو الدهاء يجب أن تحاط بتعاليم الشرع وإلا صارت منايا على حاملها.

أما الخيار العسكري فهو ليس من صنع رجل السياسة لكن يلجأ إليه رجل السياسة بعد أن تحكم الأحداث عليه بذلك. كما ان رجل السياسة بدون قوة عسكرية تجبر الآخرين على الانصياع له مجرد رجل يتكلم دون مستمع فالانثان يكمل كل منهما الآخر، فحينما تكون الأقوى عسكرياً تفرض شروطك؛ وحينما تكون الأضعف تُملئ عليك رغبات الآخرين رغماً عنك.

وقد اختصر ميكافيللي كل معاني السياسة في تلك الكلمات " على كل من يعد الضروريات لتأمين إمارته الجديدة أن يؤمن نفسه ضد أعدائه، وأن يكسب الأصدقاء وأن يحبه الشعب ويخشاه حيث يسير جنوده خلفه ويحترموه، وأن يسحق كل من يستطيع أن يؤذيه أو من الممكن أن يؤذيه. وأن يستبدل القديم من الأوضاع بكل ما هو حديث وأن يكون صارماً وشفوقاً في نفس الوقت، كريم الخصال واسع المدارك، وأن يحافظ على صداقته مع الملوك والأمراء بطريقة تسعدهم إذا فعلوا ما يفيد، وتخيفهم منه إذا ناله منهم مضرة".

وقد ذكرت كل ماسبق بهدف توضيح شخصية أبي هريرة خلال فترة ولايته، فإنها كانت تلك الفترة التي نستخلص منها أخلاق العلماء، وتواضع الصالحين. فقادتنا إلى تلك الحياة التي يتساوى فيها الراعي مع الرعية في الحقوق بمقدار ما يحفظ لهم العرف ذلك بمعدل نعرف منه نحن سهولة

الحياة ما لم تمتد يد الكبر لتكبر معها حجم المشكلات ونستمد منها صفاء المجتمع ما لم تلوئه فروق الطبقات التي تولد السخيمة. فأن رجل بمواصفات كتلك يصعب عليه أن يحكم إلا في تلك المجتمعات التي تتسم بالإيمان، وتعرف بحسن طباع أهلها بعكس المغيرة الذي امتاز بالغلظة والتي بسببها منعه المقوقس الهدايا ؛ فما كان يجوز له أن يحكم إلا تلك المجتمعات التي يمتاز أفرادها بالتمرد فلا تردعهم إلا الغلظة. ومما سبق يمكن القول أن سياسة حكم الشعوب ليس لها ثوابت ولا قواعد، فلذلك كان يحكم من لا يستحق تارة، وتارة أخرى يعزل من هو خليق بالإمارة، وتارة يجلس على العرش من قذفته الصدفة.



الحياة لا تقاس بعدد وجبات الطعام أو عدد ساعات النوم لكنها تقاس بعدد ما تركت خلفك من بصمات، وعدد ما خلفت من رصيدك العلمي أو مقدار التغيير الذي أضفته لدينك ووطنك، فالمرء في آخر لحظات حياته يشبه الطالب الفاشل حينما يوشك الامتحان على نهايته ولا يتبقى سوى تلك اللحظات التي نقول عنها نحن: فوات الأوان.

فيتذكر لحظات المرح ويبكي على لحظات التقصير، ويتذكر نصائح الآخرين ويبكي على عدم الإنصات إليهم، ويتذكر أوقات اللعب ويبكي على قصر لحظات الجد، ويزداد ألم فوق ألمه كلما امتدت عيناه على زميل له طالما أنتقده بالأمس على أسلوب حياته وجديته المبالغ فيها طبقاً لمفهومه وهو اليوم يسابق الوقت ويسبقه، ويتحایل ليحصل ولو على دقيقة ليفرغ بها أفكاره ويظهر فيها إبداعه كطالب، فالمجتهد يتمنى إطالة الوقت ليبعد أكثر فأكثر، أما الفاشل يتمنى إطالة الوقت لأنه لا يجد ما يكتبه فتخيل صحيفة الأول، وتخيل صحيفة الثاني.

فكذلك الحياة عندما توشك على الموت تدور برأسك كل ذكريات حياتك لتبكي على عمر ضاع بلا هدف، وليس لك النشيج على دهر انقضى وليس له عودة.

قد تسأل نفسك . لماذا لم أكن صلاح الدين الأيوبي أو قطز أو الصالح نجم الدين؟

وحينما تفتش في عملك لتقارنه مع عمل هؤلاء لن يغيثك الوقت، ولن يمهلك ملك الموت وقتاً على وقتك .. روى أن عمر بن الخطاب قال في أخريات أيامه: " لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال

عظمة أبوهريرة

الأغنياء فقسمتها على الفقراء".^(١).. فعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهب حياته لتقوية أركان الدولة الإسلامية فمات على ما وهب حياته له؛ فكان في آخر لحظات حياته يستخلص صالح الأفكار من فاسدها بما يقوي كيان الدولة الإسلامية.. وروى أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: " لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير" ^(٢) . فهكذا يبني العظماء مجدهم، وبهذا يخلد ذكركم، فالتناس كثير لكن لا ذكركم بعد الهلاك، والأفعال قبيحها وحسنها تتناوب في اليوم الواحد بما لا يحصيه عدد لكن يبقى فعل هؤلاء، فهم قادة خلف قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم يستمد النور، وبفعلهم نجد الصواب.

ذكر عبد الحق الإشبيلي في كتابه " العاقبة في ذكر الموت" :- "إن رجلاً كان واقفاً على باب داره وكان بابها يشبه باب حمام مجاور له، فمرت به جارية لها منظروهي تقول:- أين الطريق إلى حمام منجاب، فقال لها:- هذا حمام منجاب... وأشار إلى داره، فدخلت الدار فدخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليست بحمام علمت أنه خدعها، فعلمت أنه لا نجاة لها منه إلا بالحيلة والخداع. فأظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه

(١) الطبري في تاريخه، واستشهد بها العقاد في كتابه عبقرية عمر.

(٢) ابن الأثير في " أسد الغابة" ص ١٣٥ ، الجزء الثاني ، واتشهد بها عباس العقاد في

كتابه عبقرية خالد .

على تلك الخلوة في تلك الدار، وقالت له:- يصلح أن يكون عندنا ما يطيب به عيشنا وتقربه عيوننا من طعام وشراب، فقال لها:- الساعة آتية بك ما تريدان وبكل ما تشتهين. وخرج فتركها في الدار، ولم يغلقها، وتركها مفتوحة على حالها ومضى. فأخذ ما يصلح لهما ورجع، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وزهبت، ولم يجد لها أثراً، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها والجزع عليها، وجعل يمشي في الطرق وهو يقول:

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب

وظل على هذا الحال إلى حين نزلت ساعة احتضاره، فقيل له.. قل لا إله إلا الله .. فلم يستطع وجعل يقول :

يارب قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب

وعندما تقارن موقف كهذا مع موقف: أبي يوسف القاضي. في موته حيث جاءه تلميذه إبراهيم بن الجراح، فقال له: يا إبراهيم ، ما تقول في مسألة ؟ فقال له متعجباً : وانت في هذه الحالة؟! فقال أبو يوسف لا بأس بذلك، ندرس ، لعله ينجو به ناجٍ ! فمن هذه الأمور تدرك الفارق بين العظماء وغيرهم.

فالأول: كان منشغلاً بشهواته فمات باحثاً عنها، أما الثاني كان منشغل بالعلم عن غيره، فمات طالباً له كما عاش بين أكنافه، فاستحق أن يخلد اسمه في التاريخ، فما خلى كتاب فقه من ذكره، وما خلى ذكر من

■ عظمة أبو هريرة

اسمه .. فأبو يوسف القاضي. بين سجلات التاريخ محفوظ اسمه وبين سطور مرقوم.

وهذه هي هيئة الحياة التي يعيشها العلماء بوجه خاص والعظماء بشكل عام، فهم يقاتلون في كل دقيقة ولأجل كل دقيقة والوقت عندهم مقدس، وضياعه جذبة مكربة^(١)، لا يعرفون اللهو كما لا يعلمون إلا الجد، يتناورون في سبيل الفكرة، ويستنشقون الألم لأجل تحقيقها، تعرفهم بسيماهم منذ الصغر وتنجذب لتصرفاتهم في الكبر.

وهيئتهم بين الرجال تعرف ونظرتهم من بين العيون تكتشف فقد روى صالح بن كيسان فقال: "رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير، فقال: إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه" (٢).

يقول سحيم مولى أبي هريرة رضي الله عنه: " دخل عبد الملك - وهو شاب - على أبي هريرة رضي الله عنه، فقال أبو هريرة: هذا يملك العرب " (٣)
وعن عبدة بن رياح انه قال:
قالت أم الدراء لعبد الملك: ما زلت أتخيل هذا الأمر فيك منذ رأيتك، قال: وكيف ذاك؟

(١) جذبة مكربة: كناية عن الموت.

(٢) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٤٦٨ ، الجزء الثامن ، مرجع سابق.

(٣) السيوطي في " تاريخ الخلفاء" ص ١٣٢ ، دار الفجر للتراث.

قالت: ما رأيت أحسن منك محدثاً، ولا أعلم منك مستمعاً^(١) هيئته: معاوية. أجبرت من يراه على أن يعلم أنه سيد سيسود العرب ومنطق عبد الملك أجبر من يستمع له على التنبؤ له بالملك، فتصرفات العظماء ظاهرة لمن يعقل، واضحة لمن يرى، تراهم يقرضون الصعوبات، يلتمون المعوقات، ويمضون في طريقهم دون رادع، لا يلتفتون خلفهم، وعيائهم لا تحيد عن الهدف، طبيعتهم خاصة جداً وخصوصيتهم بطبيعة خاصة. يقول عبد الرحمن الكواكبي: " خلق الله للمجد رجالا يستعذبون الموت في سبيله"^(٢) فمن الناس من يفضل الموت على أن يحيا بما لا يليق به، ومن الناس من يرضى بالحياة أي كانت وسيلتها مقابل دقائق أو ساعات تضاف إلى عمره. فقد قيل لأحد الثوار: ما فائدة سعيك غير جلب الشقاء على نفسك؟ فقال: ما أحلى الشقاء في سبيل تنغيص الظالمين .. فكذلك العلماء تراهم باغضين الحياة مستعذبين العذاب في سبيل العلم. فالعلم للعالم عالم بلا معالم، يحاول أن يستكشفه مهما كلفه ذلك من ثمن، وكذلك العظماء يركضون خلف هدفهم بكل ما أوتوا من قوة، فعندما تبحث عن سيرة شخص كتوماس أديسون . قد انتابه الفشل في تسع وتسعين وتسعمائة بعد تسعة آلاف تجربة لكي ينجح في تجربة واحدة تتعجب من صبره وثباته، وقتاله لأجل الحلم.

(١) السيوطي في " تاريخ الخلفاء" ص ١٣٢ ، دارالفجر للتراث.

(٢) ذكرها عبد الرحمن الكواكبي في كتابه " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" .

■ عظمة أبو هريرة

وعندما تبحث في سيرة شخص كصلاح الدين الأيوبي حرم على نفسه الضحك أو التبسم قبل أن يحرر المسجد الأقصى من أعداء الإسلام؛ وكرس حياته لأجل هذا الأمر تعلم أن ملامح المجد، ومسحة العظمة ركنوا إليه منذ الصغر.

فقد روى أن أباه رآه يوماً يلعب مع الصبية وكان عمره دون العشرة الأعوام فحمله وألقى به على ظهره، فأخذت الأب رحمة على ابنه من عظم الضربة.

فقال له أمتك: فقال صلاح الدين : نعم .. فقال الأب: لما لم تصرخ؟ قال صلاح الدين: كيف أصرخ وأنا من سيحرر الأقصى؟ .. فهذه شيم الذين من خلقهم يمكن أن تستمد صفات المجد وشعبه، وكيف يبذل الجهد لنناله؟

وعندما تقارن كل هذه النماذج بنموذج شخص كأبي هريرة . عاش لأجل العلم، ولأجله استغنى عن المال، وترك المال في نفس الوقت الذي تمسك فيه بالعلم، فكر أن يختصي حتى لا ينشغل بالزواج أو السعي للزواج عن العلم، وأقام بين يدي المصطفى، وما شبع قط من تضيع (١) العلم، فهو الرجل الذي جعل العلم حياته فوهب العلم له الحياة. وعاش أبو هريرة بعلمه حين مات الآخرين ، ومات الآخرين بينما أبو هريرة مازال يحيا ويعيش فينا، وما زال اسمه ينتقل من كتاب إلى كتاب، ومن الابن إلى

(١) تضيع: أى شرب حتى ارتوى.

الحفيد، والحقيقة أن هذه ليست صفات أبي هريرة وحده لكنها صفات كل عالم وهب حياته للعلم ثم أَرَادَ اللهُ أَنْ يجعل العلم سبباً في تخليد ذكره. يقول عبد الرحمن الكواكبي:

"لا يقتضي أن يتساوى العالم الذي صرف زهوة حياته في تحصيل العلم النافع أو الصنعة المفيدة بذلك الجاهل النائم في ظل الحائط" (١)
 فلا يستوي العالم الذي قضى عمره يتعلم، ليعلم غيره مع أولئك الذين ناموا الليل ليأكلوا بالنهار، وأكلوا بالنهار ليناموا الليل. يقول الإمام علي:-

الناس من جهة الآباء أكفاء	أبوهم آدم وأمهم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة	وأعظم خلقت فيها وأعضاء
وإنما أمهات الناس أوعية	مستودعات وللأحساب آباء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى بهم أدلاء
وقيمة المرء مكان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
و ضد كل أمرئ ما كان يجهله	والجاهلون لأهل العلم أعداء
وإن أتيت بجود من ذوي نسب	فإن نسبتنا جود وعلياء
فقم بعلم ولا تطلب به بدلاً	فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(١) ذكرها عبد الرحمن الكواكبي في كتابه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد".

(٢) ديوان الإمام علي ص ٨ ، دار الحرم للتراث.

يقول الشافعي:

تصبر على مر الجفا من معلم فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يتذوق مر التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعلم وقت شبابه فكبر عليه أربعاً لوفاته^(١)
فكم من ميت يسير فوق التراب، وكم من حي في باطن الأرض وكم
من ضاحك بملء فيه قد حشوت أحشاءه بالجهل، وصُبر عقله بالحماقة:
وكم من متكلم لا يفقه ما يقول ويحتسب في نفسه المعرفة دون أن يدري
بأنه لا يدري، أما أبو هريرة فقد نزهه الله عن ذلك فهو الرجل الذي
جهلنا تأكيد موعد وفاته لكننا علمنا أن علمه قد أجهل من سواه. فنحن
الآن بعد وفاة أبي هريرة بأكثر من أربعة عشر قرن ما زلنا لا نعلم
بالتحديد وقت وفاته، وما زال هناك اختلاف في ذلك يقول هشام بن
عروة: " مات أبو هريرة سنة ٥٧ هجرية " وقال ابن معشر: " توفي أبو
هريرة سنة ٥٨ هجرية" ، وقال أبو سلمة: إن أبا هريرة مرض فدخلت
عليه أعوده فقلت:- اللهم اشف أبا هريرة، فقال:- اللهم لا ترجعها، ثم
قال- يا أبا سلمة يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى
أحدهم من الذهب الأحمر^(٢) .

(١) الإمام الشافعي في ديوانه ص ٣٢ ، دار مكتبة الهلال.

(٢) ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" ص ٤٦٣ ، الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

وروى عطاء أن أبا هريرة قال:- " إذا رأيتم ستا فإن كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني ، إذا أمرت السفهاء، وبيع الحكم، وتهون الدم، وقطعت الأرحام، وكثرة الجلاوزة، ونشأ نشء يتخذون القرآن مزامير" (١)

وروى عن عمير بن هانئ أن أبا هريرة قال:- " اللهم لا تدركني سنة ستين" يقصد أبو هريرة بسنة ستين هجرية بعام تولى يزيد بن معاوية الحكم (إمارة السفهاء) يقول الواقدي: أن أبا هريرة توفي سنة ٥٩ هـ (٢) ولكن يبقى الأمر الذي لا خلاف عليه هو قدر هذا العالم الذي لولا أن قدر الله ظهوره لضاعت آلاف الأحاديث للنبي، ولولا ان قدر الله ظهوره لتصدعت أركان الفقه.

(١) ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" ص ٤٦٣ ، الجزء الثامن ، دارالتوفيقية للتراث.

(٢) ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" ص ٤٦٥ ، الجزء الثامن ، دارالتوفيقية للتراث.

الخلاصة

لكل مجتمع طبقات، ولكل طبقة فئات، وكل فئة تنقسم في أهواء أفرادها، والأفراد يتعددون في طباعهم، فمنهم الطامح، ومنهم الباحث عن المجد، ومنهم من يركض خلف العلم، ومنهم من توقف سقف طموحه عند أدنى المتطلبات، ومنهم من طلب الآخرة فترك الدنيا، ومنهم من طلب الدنيا فترك الآخرة، ومنهم من طلب الآخرة واختار أن يفرض صوته في الدنيا، ومنهم من أعلن الجهاد في سبيل الله؛ فأصلت السيف باحثاً عن كل محقر من شأن الدين، فكل هؤلاء مجموعات بداخل كل مجموعة أهواء، فمنهم من لم يجد له في الحياة متسع، ومنهم القائم الذي ليس له مقعد، ومنهم القاعد الذي ليس له موضع قيام، فالناس طبائع قد أخفى الله سر العظمة بينهم، فالطبائع مختلفة ألوانها، وبين كل لون والآخر تلك الشعرة التي تصنع تفاوت الطبقات، وفروق الدرجات، وتبدي بين طياتها ومضة تحمل شعاع العظمة، فلا يدركه إلا قليل من المخلوقات الذين اجتباهم الخالق فأجرى على أيديهم منافع الخلق، وأوجد بين تصرفاتهم منابع العظمة فهم القادة في المعارك، والسادة في الرأي، وأصحاب الكلمة النافذة في أوقات البليلة، كلمتهم حسم في ساحات الرأي، ورأيهم قاطع في لحظات التردد، هم حملة العلم وأصحاب الفقه الذين في فصاحتهم تكمن حلول العضلات، وفي بلاغتهم تستتر لحظات الحماسة حين يتراخى الآخرون، فهم أهل الزبون^(١) في أوقات الفر.

(١) الزبون: الحرب.

وأهل الهيجاء في لحظات الكر، فبالرغم أن عددهم لا يتجاوز عدد أصابع اليد إلا أن أخبارهم تتناقل عبر الأجيال، وأفعالهم تتناثر آثارها على مر العصور، فهم نُضار^(١) البشر وثمره عزتهم، ومؤكد أن أبا هريرة واحد من أبرزهم على الإطلاق . فهو مصدر إلهام لكل من يبحث عن العلم، وصبره ينبوع الثبات لكل طالب علم، ووثباته مصدر أمل لكل باحث عن فضل عند الله. فحياته لها بريق خاص، وخصوصيته لها طابع خاص، ولقد اخترت هذا الصحابي لأحدث عنه نظراً لما رأيته في سيرته من ملامح العظمة. وما التمسته من نسمات الفضل، فأنا أضع أبا هريرة قدوة أمام يدي كل من يطلب العلم وأكتب سيرته كمعرفة لكل من عجز عن فهم معنى الكفاح، وحقيقة الثبات، وأصل النجاح، وكيف أنه قضم العلم حتى تأكلت بطنه من الفقر وانشغل به حتى لم يجد غيره فنحنى كل ما تجده نفسه مما يشتهيه البشر حتى فكر أن يختصي، فلا تجد إليه الشهوة طريق ولا يضع لإضاعة الوقت منفذ حتى صار خير صورة سُكّلت لمعلم أمام تلاميذه ، فكل تلميذ في قلبه موضع حب واحترام حقيقي لمعلمه؛ فهو يقتدي به ويتصرف كما يأمره. وينفذ ما يطلبه، فلذلك كانت القدوة هي الجانب الأهم لكل صاعد على مصعده، ولكل سائر في طريقه، فالعمل وحده دون رجل تقتدي به لا يكفي، أما الإقتداء بالعظماء يضعك بينهم وتصرفك على نحوهم يجعلك منهم.

(١) نضار: الخالص من كل شئ.

فإذا كنت مجاهد في سبيل الله وأصابتك لحظات انكسار فيكفي أن تتذكر: خالد بن الوليد. في معركة اليمامة حتى تصمد كصموده، وإذا أصابتك قلة واضطرتك الظروف على مواجهة جحافل فيكفي أن تتذكر: ألب أرسلان. في موقعة ملاذ كرد ، أما إذا كنت طالب علم وأصابتك علة فيكفي أن تتذكر الشافعي حتى تزال عنك كل لحظات الهم والحزن، وإذا أعطتك الدينا ظهرها فيكفي أن تتذكر الإمام : احمد بن حنبل . في فتنة خلق القرآن.

أما إذا أردت قدوة قد مرت بكل هذه الظروف واقتدى بها كل هؤلاء فيكفيك رسول الله ﷺ وأصحابه الأربعة، فمجد العرب ما ضاع إلا بضياح تاريخهم ونسيانهم لماضيهم فاختلطت عليهم الأوراق، وتشابكت بينهم الصفات، وامتزجت بينهم الأنساب فتساوى أشراف القوم مع غيرهم.

فما عاد الابن يعرف أباه، وما عاد الأب يفقه شئ عن تاريخ جده. أضعنا علمنا فما عاد لحرف الضاد^(١) موضع بين الكلمات ، وأضعنا أنسابنا ففقدنا تلك اللهجة التي كان يتفاخر بها أجدادنا على العجم . فلكى نبى مجتمع إسلامى حقيقى يجب أن نعيد صياغة التاريخ، ونزداد معرفة به، ونصنع القدوة لكل في مجاله، ونوجد المعلم لكل حسب

(١) حرف الضاد : كناية عن اللغة العربية.

■ عظمة أبوهريرة

طلبه، ونفقه الأم حسبما تود أن تصنع من ابنها. فسفيان الثوري لولا أمه لما أصبح سفيان، والإمام مالك لولا أمه لما ملك العلم.

فالأم هي الرحم التي يتربص بها شخص الرجل كبيراً ، وهي المدرسة التي يتكون بها عقله ، وهي الظروف التي تصنع صلابته، وهي العدو الذي يشكل شجاعته، وهي الرحمة التي يركض إليها في مواضع القسوة، وهي القسوة التي تشد من أزره في مواضع التقهقر، فهي يمكن ان تكون الشئ ويمكن أن تكون نقيضه لكنها كل شئ.

فأوجدوا القدوة، وأحسنوا إعداد المعلم، وأصلحوا الأمهات ينصلح حال المجتمع.

فهرست

٥.....	مقدمة
١٩.....	أخلاقه
٢٧.....	شجاعته
٣٣.....	كرمه
٣٧.....	إسلامه
٤٥.....	إسلام أمه
٥٣.....	طلبه للعلم
٧٥.....	حكيمته
١٠١.....	علمه
١٢٣.....	ولايته
١٣٥.....	وفاته
١٤٥.....	الخلاصة